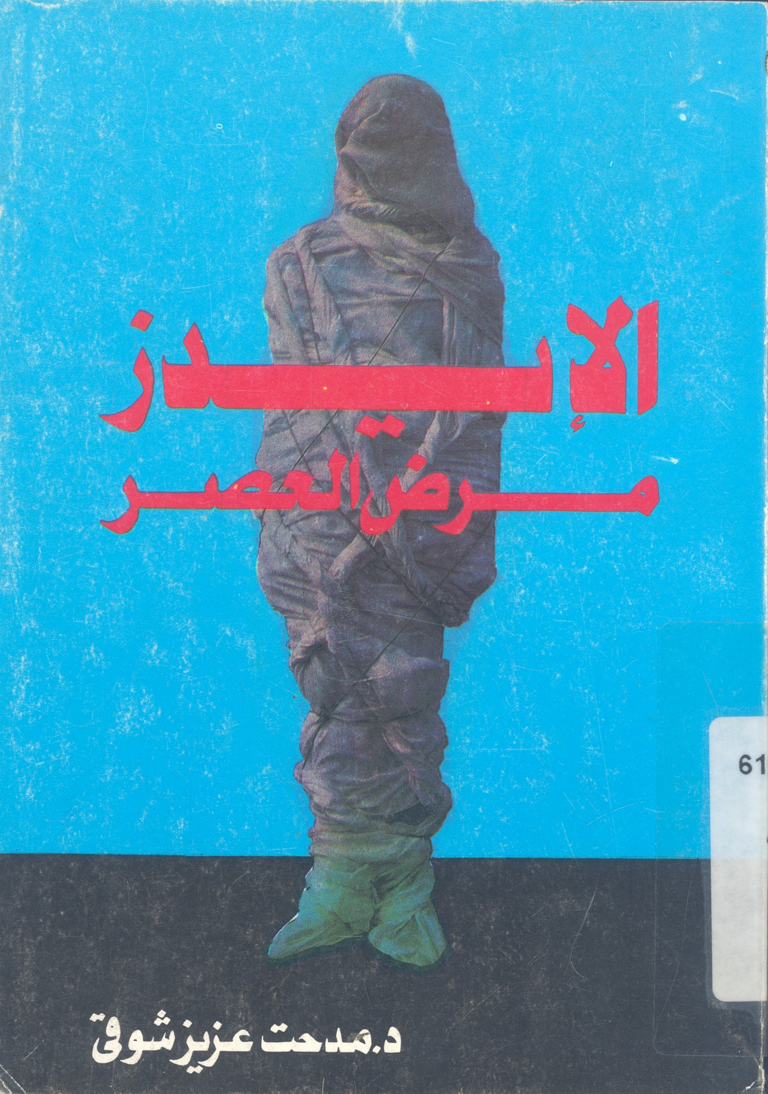

الإيدز
مرض العصر
د. مدحت عزيز شوقي

الإيدز
مرض العصر

الطبعـــة الأولـى
(أكتـوبر ١٩٨٥)

الإيدز
مرض العصر

د. مدحت عزيز شوقي

إهـــــداء

- إلى هؤلاء المفكرين من البشر فى كل انحاء الأرض ..
- إلى اولئك العلماء الذين يصلون الليل بالنهار ، عملاً فى صمت ، وعطاء فى تواضع ..
- إلى الذين يحاولون جاهدين اكتشاف حقيقة هذا المرض المأساة ..
- إلى مجتمع القراء الرحيب الوسيع ، فى كل زمان ومكان ..

أهدى هذا الكتاب ، عسى أن يُلقى أمامهم بعض الأضواء والأنوار الكاشفة ، فيحدد لنا معالمَ الطريق ، إلى الحق والحقيقية .

والله ولىّ التوفيق ....

المـؤلــف

تقـــديـــم

نشأت فكرة كتابة هذه السطور ، بعد أن صدر لى كتاب « الطب والجنس » فى أول أغسطس ١٩٨٥ ، ضمن سلسلة « كتاب الحرية » وبعد ذلك بأيام قليلة ، وعلى وجه التحديد فى ١٤ أغسطس من الشهر نفسه ، كتبت الدكتورة عواطف عبد الجليل ، فى عمودها اليومى بصحيفة « الجمهورية » اليومية ، تحليلاً مفصلاً لفصول هذا الكتاب ، وعاتبتنى على أننى تجاهلت مرض العصر ، هذا الوباء المسمى « الإيدز »

ومما جاء فيما نشرت الدكتورة عواطف قولها :

" بصراحة ، وقفت حائرةً أمام هذا الكتاب .. إذ أننى لم أجد فيه ما كنت أتمنى ، وخاصة أنه صدر فى توقيت كان من الضرورى أن يتناول فيه المؤلف ، وهو طبيب وباحث ، العثرات التى يتردّى فيها الشباب ، والآلام والأحزان التى تنتج عن الاستخدام السيء للجنس ، ويبيّن للشباب مزايا العفة والطهارة ، ويبين أيضاً ما ثبت فعلاً من أن الجنس ليس ضرورة لحياة الناس ، كما سبق وتشدّق

فلاسفة الثورة الجنسية الذين جلبوا على الدنيا موجة الانحرافات ، وأشاعوا المرض الخطير الذى حيّر العلماء فى أنحاء الأرض ، وهوى مرض « الإيدز » ''

وتوالت بعد ذلك العشرات ان لم تكن المئات من المقالات والتعليقات فى الصحف والمجلات المصرية والعربية والعالمية وهى تتناول يومياً فى فزع ورعب شديدين على صفحاتها الأولى تلك المشكلة الحديثة الرهيبة وخاصة بعد أن توفى بها الممثل المعروف « روك هدسون » وأحسست غير قليل من الاستياء والغضب لأن معظم الذين تناولوا هذا الموضوع الهام ليست لهم دراية على الاطلاق بعالم الطب وبحقيقة هذا المرض اللعين .

وعلى أثر ذلك هرعت إلى أكثر من زميل من زملائى الأطباء ، ومعظمهم من حملة أعلى الدرجات العلمية فى مصر بل وفى الشرق كله أسألهم وأناقشهم فى حقيقة المرض الخطير ، وكانت مفاجأة مؤسفة لى وجدت الجميع بلا أى دراية ، وبلا أى فكرة تجاه مرض « الإيدز » .. ومن ثم حاولت العصور على كتاب يشرح المرض فكانت دهشتى أكثر وأشد وهى أنه لا يوجد أى كتاب فى العالم حتى الآن لشرح المرض ، وتجمع الأصدقاء والأطباء والقراء من حولى يطلبون منى المبادرة إلى القيام بهذه المهمة ، فأحاول وضع أول كتاب فى العالم يحمل عنوان هذا المرض .

وبالفعل .. تركت كل ما كنت غارقاً فى عمله ، وكنت أعكف على إعداد كتاب آخر وفى موضوع آخر ومكثت أسبوعاً أفكر فى هذه المسئولية الجديدة ، وبعثت بخطابات سريعة إلى مختلف

الجهات العلمية العالمية لتزويدى باحدث ما وصل إليه العلم الحديث حتى أغسطس ١٩٨٥ ، وبالفعل تجمعت أمامى آلاف الابحاث التى تم اجراؤها فى مختلف أنحاء الأرض للكشف عن هذا الوباء الجديد ، أمضيت ليال طويلة أقرأ وأتابع واستوعب وألخص ، فى محاولة جادة لجمع الخيوط بين السطور ، توصلا إلى معرفة الحقيقة وبلوغ الهدف قبل أن أرسلها بأمانة إلى القارىء الذى تشوهت معرفته ومعلوماته بسبب هذا السيل المتلاحق من الكتابات المهزوزة غير الواعية فى هذا الموضوع .

وكان أن بدأت الكتابة وكنت حريصاً للغاية على أن تكون الحقائق سهلة ومباشرة لاقتناعى بأن هذا الكتاب قد يترجم إلى أكثر من لغة أجنبية ، بل أن العديد من الجهات العلمية قد تتناوله بالنقد والدراسة .. ومن هنا كان ذلك مهمة صعبة ، وعملاً شاقاً مضنياً ، وأدعو الله أن يكون قد حالفنى فيه توفيقه تعالى .

وأخيراً .. وبعد هذا الحوار العلمى الطويل ، توصلت إلى مجموعة من الحقائق أقدمها بكل تواضع إلى وزارة الصحة ، لتبادر إلى اتخاذ الاجراءات اللازمة لمواجهتها بما تستحق من الاهتمام ، وقد سردتها فى الفصل الأخير من هذا الكتاب ، تحت عنوان « كيف نواجه الإيدز ؟ » .

وإلى اللقاء فى كتاب آخر ..

د . مدحت عزيز شوقى

تمهيد علمي

عاش الإنسان على الأرض آلاف السنين فى مسلسل متصل الحلقات المتلاحقة من قصة الحضارة الإنسانية ، وكان الإنسان الأول فى تكوين بدائى ، لا فرق بينه وبين الحيوان الا فى العقل الذى استطاع به الإنسان صناعة تاريخه الطويل عبر الأجيال والعصور والحقب فقد استطاع بعلمه أن يسخر كل شيء من حوله بالتدريج وحتى نجح فى أن يتطور من العصور الحجرية ، إلى العصور المعدنية .. إلى .. وإلى .. ليصل أخيراً إلى عصر الفضاء .

ولقد نجح الإنسان بالفعل سنة ١٩٦٩ فى أن يصل إلى القمر ، ويعود سالماً من هذه الرحلة التاريخية بعد أن سخر العلم فى مختلف فروعه وسيطر سيطرة كاملة ، وبنظرة علمية إلى هذا التاريخ البشرى الجبار الطويل ، نستطيع تسجيل النجاح المستمر للإنسان فى مواجهاته ومجابهاته فالإنسان الأول لم ينقرض رغم ضعف إمكاناته إذ كان يواجه الطبيعة القاسية مثل الفيضانات والبراكين والاعاصير والزلازل ، كما كان يواجه الوحوش المفترسة من

حوله ، إذ كان يعيش فى غابة غير مقسمة يواجه الأمراض والأوبئة المهلكة بلا طب ولا تطبيب وهو لا يفهم حقيقة هذه الأمراض ، وبلا علم أيضاً يشرح له تفصيلات تركيب جسده تشريحياً أو فسيولوجيا ، كما نستطيع أن نضيف أن هذا الانسان الأول كان يعيش مع الطبيعة فى حياة صحية متوازنة دون أى أدوية أو عقاقير أو حتى أى تدخل جراحى .

من هذا المنطلق يمكننا الجزم بأن الإنسان الأول كان أقوى صحياً من الإنسان الحالى الذى يتمتع بهذا السيل والكم الرهيبين من وسائل التكنولوجيا فى مختلف المجالات بما فيها ذلك التقدم الطبى المذهل الذى مكن الإنسان حديثاً من زراعة القلب وزراعة الكلى وزراعة الرئة ، وغير هذا وذاك من الانجازات الطبية المذهلة التى تمت فى هذا القرن العشرين فقط لكن الامر الغريب الذى يستحق بالفعل وقفة موضوعية للدراسة والتأمل أن الإنسان الأول رغم ضعف امكاناته كان يعمر ويعيش حياة من سنوات أطول على الأرض ، وكان من الطبيعى أن يعيش الإنسان أكثر من مائة عام ، بل أن متوسط الأعمار على الأرض بالنسبة للإنسان منذ آلاف السنين كان يجاوز المائتين من الأعوام ، وقد قرأنا فى الكتب السماوية عن أكثر من إنسان عاش وعمر أكثر من ثلاثمائة عام .

فاذا قورنت هذه الأرقام بالمتوسط الحالى لعمر الإنسان الذى لا يتعدى السبعين عاماً ، نستطيع أن نستشف صدق هذه المعلومة العلمية وهى أن صحة البشر عبر الأجيال المختلفة ليست فقط فى تطور بل هى فى تدهور مستمر ، أى أن الحضارات المستمرة عبر التاريخ البشرى الطويل قد تكون أسهمت فى رفاهية الإنسان ،

لكنها بلا جدال دمرت امكاناته لمواجهة الأمراض على الأرض ، واضعفت من مقاومته لهذه الأمراض .

وهنا يبدأ الحديث عن هذا الموضوع الهام ، والذى يعد من أحدث الموضوعات الطبية وهو « علم المناعة » أو علم مقاومة الجسم للأمراض المختلفة ، ويرى الكثير من العلماء أن انتشار المضادات الحيوية التى يستخدمها البشر الآن بصورة مذهلة أضعفت مقاومة الجسم ومناعته وجعله دائماً فى حاجة إلى اكتشاف الجديد من هذه المضادات الحيوية بدلاً من تشغيل أجهزة المناعة الطبيعية الموجودة فى جسم الإنسان ، ولا جدال أيضاً أن الثورة الكيماوية التى اجتاحت العالم فى الزراعة والصناعة قد أضافت عبئاً جديداً على أجهزة المناعة فى جسم الإنسان ، وفى هذا الكتاب سأحاول أن أشرح للقارىء هذا الجهاز الغريب الموجود فى جسمه والذى يعرف بـ « جهاز المناعة » فى الإنسان .

ويعتبر مرض « الإيدز» من أقوى الأمراض الفتاكة التى أصابت الجهاز المناعى فى الإنسان منذ خلق على وجه الأرض مما يجعل الإنسان بلا أى قوة دفاعية ، ويجرده من جميع أسلحة الدفاع الموجودة فى الجسم لمواجهة الميكروبات والفيروسات ، هذا وقد ثبت أن العامل المباشر المسبب لمرض الإيدز هو فيروس تم اكتشافه سنة ١٩٨١ ، ولذلك وجب علينا فى هذا الكتاب أن نعطى صورة واضحة للقارىء عن حقيقة الفيروسات وأهم الأمراض التى تسببها وطرق علاجها والوقاية منها ، كمدخل طبيعى لفهم مرض « الإيدز » الخطير .

والسؤال الذى يثير الحيرة البالغة الآن هل كان الفيروس موجوداً منذ عشرات السنين دون أن ندرى ؟ أم أنه فيروس جديد له صفات مكتسبة حديثة ؟ تساؤل خطير ومهم سنحاول أن نطرحه للمناقشة فى هذا الكتاب .

بيد أن الشىء الواضح فى هذا الموضوع المخيف حقاً هو أن العلماء المتخصصين فى عالم الطب والمناعة والفيروسات عاجزون تماماً عن علاج هذه الحالات المكتشفة من المصابين بمرض الإيدز ، وأن نسبة الوفاة بالمرض تعتبر للأسف ١٠٠٪ ، كذلك هناك عجز واضح وفاضح عن تصنيع تطعيم لهذا المرض مثلما نجح الإنسان فى التطعيم ضد الكثير من الأمراض التى تسببها الفيروسات مثل الجدرى والحمى الصفراء ، وسنحاول أيضاً فى هذا الكتاب شرح الأسباب العلمية التى تجعل مثل هذه المحاولات صعبة ومستحيلة ، وسنطرح التصورات والبدائل للوقاية من هذا المرض اللعين والمخيف طالما كان التطعيم منه فى عداد المستحيلات .

وأخيراً يجب أن يعرف القارىء أن وزارة الصحة الأمريكية هذا العام صرحت بأنها تعتقد بوجود أكثر من مليونى أمريكى حامل لمرض الإيدز وموجود بالفعل فى الولايات المتحدة الأمريكية وهو ينفث عدواه وينشرها كل يوم وكل لحظة بين الملايين من المواطنين الأبرياء .

كانت هذه المقدمة العلمية تمهيداً ضرورياً حتى نكون على بينة ومعرفة بالعدو الذى تواجهه البشرية جمعاء فى هذه الأيام ، والذى يعتبر أخطر مرض ظهر على الأرض حتى الآن بعد أن طفت مشكلة

الإيدز طبياً حتى على مشكلة السرطان ، نظراً لأن السرطان يعد مرضاً ليس معدياً ولا يتطلب اجراء تعطيم ضده للوقاية منه ، كما أن مرض السرطان من الممكن شفاؤه إذا تمكنا من سرعة اكتشافه فى حين أن الإيدز لا يمكن شفاؤه بأى صورة من الصور ، ولكل أولئك رصدت الحكومة الأمريكية هذا العام ١٩٨٥ ملايين الدولارات للمواجهة الفعالة ضد المرض ومن المتوقع أن ترتفع هذه الملايين إلى بلايين الدولارات خلال الأعوام القليلة القادمة بعد هذه الموجة الخطيرة العاتية من الرعب الذى اجتاح العالم وهو يهدد البشرية بالفناء من هذا المرض .

هل ينجح الإنسان فى هذا التحدى ؟

هل ينجح هذه المرة كما نجح من قبل فى الوصول إلى القمر ؟؟

هل تكون هذه هى بداية النهاية لتاريخ الإنسان على الأرض ؟؟؟

هل .. وهل .. وألف هل .. تساؤلات كثيرة نطرحها .. لكن الأجابة عنها حتى الآن ما زالت فى علم الغيب .. فهى حقائق لا يدريها ولا يعلمها غير الله وحده .

الإيدز .. أصداء عالمية ومحلية

عزيزى القارىء :

فى الصفحات القليلة التالية ، سأحاول أن أقدّم إلى الناس صورة شاملة عن مشكلة مرض الإيدز ، من خلال ما كان لها من أصداء فى وكالات الأنباء والصحف العالمية ، والعربية والمحلية ، لنتعرف معاً على أبعاد هذه القضية العالمية والإنسانية التى تشغل بال الدنيا فى الدرجة الأولى :

● فى أوائل يناير من عام ١٩٨٣ ، نُشرت أنباءٌ فى بعض الصحف المصرية ، تتحدث عن مرض لم يعرف كُنهه فى أمريكا ، يفقد معه جسُم الإنسان مناعته ومقاومته . وقد ورد فى هذه الأنباء انه اجتمع فى « اتلانتا » المسئولون عن الصحة العامة وخبراء الدم فى أنحاء الولايات المتحدة ، حيث تناولوا بالبحث السبل الكفيلة بالقضاء على مرض غامض أخذ ينتشر فى البلاد بصورة أثارت الانزعاج ..

وهو مرضٌ له عدة أعراض تظهر فى وقت واحد ، وتنتهى بالقضاء على المناعة الطبيعية فى الجسم ضد الأمراض . وقالت الأنباء إن أعراض هذا المرض ظهرت فى بادىء الأمر على الشواذ جنسياً من الذكور فى نيويورك وكاليفورنيا ، ثم ظهرت بين المهاجرين من « هاييتى » ومدمنى المخدرات وذوى الميل الوراثى إلى النزف الدموى .

● وفى صحيفة أخرى من صحف الوطن العربى ، فى اوائل أكتوبر من عام ١٩٨٤ ، تحدثت أنباء عن انتشار « **الإيدز فى وسط أفريقيا** » ، وقالت أن خبيراً بلجيكيا فى الطب صرّح بأن أعراض نقص المناعة المكتسبة المعروفة باسم « إيدز » ، والتى أودت بحياة حوالى ثلاثة آلاف مواطن أمريكى فى الولايات المتحدة ، خلال الأعوام الثلاثة الماضية ، أصبحت مشكلة صحية كبرى فى وسط أفريقيا . وقال الدكتور « ناثان كلوميك » ، الذى يعمل بمستشفى سان بيير فى بروكسل : يبدو أن الاتصال الجنسى غير المشروع أهم عامل فى نقل عدوى مرض « الإيدز » ببلدان وسط أفريقيا ، وأن نسبة الاصابة بالمرض مرتفعة بين الفئات العليا ، وبين الفئة المتوسطة ذات الدخل المرتفع فى هذه البلدان . وقال : لقد أصبح معروفاً الآن أن مرض « الإيدز » أصبح مشكلة صحية فى وسط أفريقيا ، ويبدو أن الاختلاط الجنسى غير المشروع هو أهم عوامل نقل المرض .

(كان الدكتور كلوميك بين العديد من الخبراء الطبيين الذين شاركوا فى المؤتمر الرابع والعشرين للعلوم ، بشأن العقاقير المضادة للميكروبات التى توافق عليها الجمعية الأمريكية للميكروبيولوجى) .

● وأعلن الدكتور « جيمس كوران » ، الذى يعمل فى المركز الأمريكى لمكافحة الأمراض فى اتلانتا بولاية جورجيا ، فى المؤتمر الصحفى الذى عُقد بهذه المناسبة « انه لا يتوافر دليل » على أن فيروس مرض « الإيدز » المكتشف أخيراً ، فى لعاب الأشخاص الذين هم على صلةٍ بضحايا معروفين للمرض ، قد انتقل خلال الاتصال المرضى . وأضاف الدكتور كوران ان هناك ٦٣٥٠ حالة أصابة بمرض الإيدز تم تشخيصها فى الولايات المتحدة ، خلال السنوات الثلاث الأخيرة ، ونحو ٣٠٠ حالة وفاة لاشخاص تلقى المركز بلاغات عن اصاباتهم بالمرض . وأكد الباحثون جميعاً أن مرض الإيدز ينتقل خلال الاتصال الجنسى عن طريق السوائل الجسمية ، أو عن طريق مشتقات الدم .

● وفى مايو من عام ١٩٨٥ الحالى تحدثت مجلة أسبوعية فى القاهرة عن « **المرض الجديد الذى يستقيل بسببه الأطباء** » فقالت : لم يشأ القرن العشرون أن يودّع البشر دون أن يصيبهم بأحدث شروره – وباء الإيدز AIDS – وهو اختصار للحروف الأولى لاسم ذلك المرض الذى يؤدى إلى انهيار قدرة المناعة ، تلك القدرة التى أعطاها الخالق للجسم كى يقاوم الفيروسات والأمراض . وكما تؤكد الأبحاث ، فان هذا المرض هو الثمن الفادح ، بل والفاضح ، الذى ينشأ عن العلاقات الجنسية الشاذة بين ابناء الجنس الواحد . ومن أجل هذا المرض « الإيدز » ، كان قد اجتمع فى مدينة اتلانتا الأمريكية أكثر من ألفى متخصص فيما يُعد أكبر تجمع من نوعه يعقد لدراسة هذا المرض الذى ينتهى دائماً بالموت .

● وفى أبريل من نفس عام ١٩٨٥ الحالى ، تحدثت صحف

كثيرة فى مصر نقلاً عن وكالات الأنباء العالمية ، حول مليونين من الأمريكيين مصابين بمرض الإيدز ، وأشير فيما نشر إلى تصريح للدكتور « روبرت جالو » ، مدير المعمل البيولوجى لخلايا الأورام فى معهد السرطان القومى الأمريكى ، الذى ألمح فيه إلى المصابين المليونين فى أمريكا ، وأضف أن المصابين بنفس المرض فى أوروبا سيصل عددهم إلى المعدل نفسه خلال عامين . وقال « جالو » الذى اكتشف المرض ، فى حديث صحفى ، أن العلم يعمل بسرعة الضوء لمكافحة هذا المرض دون أن يتمكن من ملاحقته . وتوقع أن تقع وفيات كثيرة بين المصابين بالإيدز اللعين .

وأكدت الأنباء ان الاحصاءات الأمريكية شددت على تفشى مرض الإيدز فى الولايات المتحدة ، وان أعلى نسبة من المصابين بالمرض توجد فى ولاية فلوريدا الأمريكية ، تليها ولاية نيويورك ، فولاية سان فرانسسكو ، وان المرض ينتشر بين غير المنضبطين خلقياً .

● وفى أواخر يوليو من عام ١٩٨٥ الحالى حفلت الأنباء الصحفية فى مصر بأخبار وتعليقاتٍ أكثر أثارةً ، كان فيما جاء بها قول تحليل منها : فى أفريقيا يتساقطون بمئات الألوف بعد أن صرعهم الجوع ، والعالم لا يحرك ساكنا أكثر من إيفاد مئات المصورين ، ليلتقطوا الصور ويلتقطوا .. حتى كادت عدسات التصوير تصيح وتصرخ ، لكثرة ما سمعت وسجّلت من ملامح الآلام والأحزان والأوجاع وهم تتجمد ، مع الموت ، على وجوه الآلاف من الأطفال والنساء والشيوخ ، لتزدحم بها صفحات جرائد العالم ومجلّاته ، يَقرؤها الغرب على موائد افطاره المتخمة ، بينما هو مشغول بمشكلة

نقيضه تماماً : كيف يتخلصون من جبال اللحم والزبد التى تراكمت وارتفعت قممها من فائض المواد الغذائية حتى لا تتأثر أسعارها فى السوق العالمية .

وفى الغرب أيضاً يموتون ، ويتساقطون بالآلاف ، ولكن القضية مختلفة تماماً : انه الوجه الآخر للحضارة والمدنية التى صنعها المجتمع الغربى ، بكل انجازاته الضخمة فى عالم التكنولوجيا والعلم ، فكان له التقدم والرخاء ، ولكن كان له أيضاً المشكلات الاجتماعية ، والأزمات الاخلاقية ، وأصبح صناع الحضارة الحديثة يشكون من السأم والضياع وتفشى الشذوذ بمختلف أشكاله ، ومنه تسللت مشكلة جديدة إلى مجتمعاته وعرفت طريقها إلى مختلف وسائل الإعلام فى أنحاء العالم .. مشكلة تحمل أسم « الإيدز » !

هذه المشكلة تعد واحدة من نتائج دعوات التحرر الجنسى والتخلص من أية محاولة لتقييد أو وضع ضوابط للعلاقات بين الجنسين فى المجتمعات الغربية . وهنا ينبغى أن نشير فى البداية ، قبل استعراض الأبعاد المختلفة لمرض « الإيدز » ، إلى أن البشرية ، إذا كانت قد عرفت على مرّ تاريخها صوراً من الشذوذ والإنحراف الجنسى ، فان المجتمعات الغربية المعاصرة تعد بمثابة مجمع ومركز لتكاثر وانتشار كل ما عرفته البشرية من تلك الصور والممارسات ، لتصبح جزءاً لا يتجزأ من تكوينها الاجتماعى ! . وتركّز وسائل الإعلام حالياً على « الإيدز » بوصفه أنه أخطر ما تم اكتشافه من امراض مرتبطة بالممارسات الشاذة ، والذى أصبحت صور المصابين به ، وقصص معاناتهم فى الشوارع والطرقات ، مثار الأهتمام الكبير من جانب الصحف ووكالات الأنباء ووسائل الإعلام الغربى .

و « الإيدز » يعنى باختصار الفيروس الذى يسبب عجز جهاز المناعة فى جسم الإنسان ، ويجعل منه فريسة سهلة المنال لأى غزو ميكروبى أو فيروسى مما يُودى فى النهاية بحياة المريض ..

إن اعراض « الإيدز » وغموض فيروسه القاتل ، قد تظهر واضحة جلية فى صورة تورّمات غددية ، أو نقصان فى الوزن وضعف عام ، أو ضيق وصعوبة فى التنفس .. وقد تظهر بصورة متقطعة غير منتظمة ، وقد لا تظهر مطلقاً لدى المصاب ، رغم تمكن الفيروس من جسده ، وقدرته على نقله لغيره . .

ومريض « الإيدز » قد يتردد - عقب ظهور الأعراض ، أو أحساسه ببعض هذه الأعراض - فى الذهاب للفحص الطبى ، إذ يتعرض لصراعات وضغوط نفسية حادة ومتعددة الأبعاد مع ان معاناته الجسدية والنفسية ، من تشتت وعدم استقرار ، فضلاً عن الخوف والقلق الذى يكابده ، كل ذلك يحتم عليه التوجه للفحص ، غير أن مريض « الإيدز » يواجه ويدوّى فى داخله ، واقع آخر يتمثّل فى خطورة علم « الآخرين » باصابته ، ففى هذه اللحظة لن يضمن المريض العواقب الوخيمة لذلك ، والتى لن تتمثل فقط فى الابتعاد عنه واجتناب مخالطته ، بل تتعدى ذلك إلى تهديده فى مصدر رزقه ومحل اقامته ، حيث يمنح القانون الأمريكى والبريطانى ، لصاحب عمله ، ومالك منزله ، الحق فى طرده وابعاده ، خشية انتقال العدوى إلى زملاء العمل أو جيران السكن . وعلى أية حال ، وحتى لو اختار المريض البديل الأول ، فيُفاجأ بتكاليف رعاية باهظة للغاية ، تتراوح بين ٧٠ ألف دولار ونصف مليون دولار ! وهو ما يتطلب امكانات لا تتوافر لدى ٩٠٪ من مرضى « الإيدز » ، ومن هنا قد لا يجد

المريض مفراً من انتظار البديل الطبيعى والسريع وهو « الموت » .. وقد سجل مركز رقابة الأمراض فى « اتلانتا » بولاية جورجيا الأمريكية جملة اصابات بالولاية بلغت فى العام الماضى ٦٥١٧ حالة توفى ٩٠٪ منهم ، قبل ان تتاح لهم أية فرصة للفحص الطبى أو العلاج !

٢٠ ألف حالة وفاة تصيب أمريكا وحدها

يقدر عدد الذين سيتوفون نتيجة إصابتهم بالمرض فى الولايات المتحدة بحلول عام ١٩٨٦ بنحو ٢٠ ألف شخص . وتشير وكالة الأسوشيتد برس فى أحد تقاريرها إلى أن ٩٥٪ من مرضى الإيدز فى العالم قد توفوا خلال الأعوام الثلاثة الماضية فقط . وخطورة الإيدز لها بُعْدٌ آخر غير الوفاة المحققة للمريض ... يتمثل فى أن هذا المرض ليس كغيره من الأمراض التناسلية المعروفة والشائعة كالسيلان والزهرى اللذان لا تنتقل عدوى الإصابة بهما الا عن طريق الاتصال الجنسى مع المصابين بهما ، فقد ثبت أن وسائل نقل العدوى من مريض الإيدز متعددة .. ولا تكون مقصورة على الإتصال الجنسى ، أى قد يكون اللعاب أحد الأوعية الناقلة للفيروس المسبب للإيدز ، ولذلك فان رزاز « عطسة » من فم المريض قد يكون رزاز الموت لغيره .

وهذه الخاصية المميزة للإيدز جعلت الدكتور « ميشيل جولتليد » رئيس قسم المناعة فى كلية الطب باحدى الجامعات الامريكية ، يقدر أن عدداً يتراوح بين مليون وميلونى أمريكى مصابون بالإيدز ، على الرغم من عدم ثبوت الاصابة الا فى ٢٤ الف شخص فقط ! ومن

هذا المنطلق كان موقف المجتمع الغربي من مرض « الإيدز » موقفاً يستنبط من خطورة المرض وسهولة انتقال عداوه ..

ان التخوف العام من المريض حتى داخل المستشفيات ، والابتعاد عنه ، والصيحات المنادية بضرورة عزله عن المجتمع ، هى أهم ملامح هذا الموقف الذى انعكس على العديد من المؤسسات ومرافق الخدمات فى الغرب ، وقد اصبحت تحظر بصورة متزايدة تقديم خدماتها إلى مريض الإيدز خوفاً من مرضه ، بما فى ذلك شركات وخطوط الطيران الدولية والداخلية ، وكان آخرها شركتين للخطوط الداخلية فى استراليا .

ومما يكمل قتامة الصورة بالنسبة إلى هذا الموقف ، عدم رصد المؤسسات الحكومية والسلطات المختصة مخصصات كافية لابحاثه ، فضلاً عن عدم وجود برامج علاج متكامله ومنسقة لضحاياه .. فى الولايات المتحدة على سبيل المثال لم تتعد مخصصات أبحاث المرض خلال العام الحالى العشرين مليون دولار ، وتمارس لجنتا الصحة والخدمات الإنسانية فى الكونجرس الامريكى حالياً جهوداً جبارة من أجل مضاعفة هذه المخصصات خلال العام القادم .

ومن جهة ثانية فان أوامر السلطات ، باغلاق الأماكن التى تمارس فيها صور الشذوذ الجنسي المختلفة ، وهى مصدر كل الأوبئة ، أصبحت تثير جدلاً شديداً فى الغرب ، من زاوية مدى حق التدخل فى الحرية الشخصية والاجتماعية للشواذ ، الذين يرون فى أى محاولة لوضع حدٍ أو تقييدٍ لانشطتهم الشاذة ، بمثابة اعتداء صارخ على حقوقهم المدنية ، ورغبة « رجعية » فى حرمانهم مما يعتبرونه اكتشافا لذواتهم فى عالم ليس فيه أى فروق طبقية أو جنسية . ثم أنهم ، رغم

معرفتهم بنهايتهم المحتومة ، راضون بما يفعلونه ، إذ ليس هناك فارق من وجهة نظرهم بين ان يقتلهم أحد الميكروبات أو يقتلهم اسلوب الحياة التى يحيونها ..

ولنا الآن أن نتساءل عن الآمال واحتمالات السيطرة على الفيروس المسبب لمرض الإيدز ، ومن ثم يصبح بالامكان علاج مرضاه .. هنا تبدو الاجابة غير متفائلة ، فرغم الابحاث المكثفة والجهود المضنية التى تقوم بها مؤسسات مختلفة كمؤسسة « باستير » الطبية فى باريس ، والتى اكتشفت فيروسا يسمى (VAI) يعتقد ان له صلة بالإيدز . وكذلك الحال فى الولايات المتحدة ، عندما اكتشف علماؤها فى العام الماضى فيروسا اطلق عليه (HTLV 3) ، من المعتقد كذلك ان له صلة « بالإيدز » ، غير انها جميعاً مجرد اجتهادات لم ترتق أو ترتفع بعد لمستوى الحقيقة العلمية ، ولذلك قد يكون من الصعب ، على الأقل فى المستقبل القريب ، التوصل إلى اكتشاف مصل مضاد لفيروس « الإيدز » القاتل ، شأنه فى ذلك شأن أى مرض فيروسى آخر ، ولعلنا نتذكر أن تحضير مصل مضاد لإلتهابات الكبد الفيروسية قد استغرق من العلماء سبعة عشر عاماً من الابحاث المتواصلة ، لذلك فان ما يركز عليه الغرب فى هذه المرحلة هو الجانب النفسى فى علاج مريض الإيدز وتخفيف أزمته ومعاناته ، وضرورة توفير جو من الثقة للمريض ، وإبداء الرغبة فى مساعدته وتفهم حالته والتظاهر بعدم الخوف منه إلى جانب محاولة اقناعه بالمخاطر المتزايدة التى قد يتعرض لها ، إذا ما واصل الانغماس فى تلك الصور من الممارسات الشاذة ، وإحياء الأمل لديه بإمكان التوصل إلى مصل شاف وعلاج ناجع .

● تحت عنوان « **لكى يعرف شبابنا** » كتب الأستاذ صلاح

منتصر يقول : خصصت مجلتا نيوزويك وتايم أكثر من عشرين صفحة فى عدديهما الأخيرين للحديث عن مرض نقص المناعة الطبيعية للإنسان والذى سموه « إيدز » ، وكل ذلك طبعاً لأن نجماً مشهوراً هو « روك هدسون » ، الذى كان وجهه ينطق بالقوة والنضارة ، قد تحول بسبب هذا المرض الذى أصيب به إلى مومياء متحركة تعكس مدى التحول الرهيب الذى يسببه المرض فيمن يصيبه . اهم ما تضمنته الدراسة الطويلة للمجلتين من حقائق ما يلى :

١ – ان « الإيدز » مرض ينتشر بين الشاذين ، وان الشذوذ الجنسى يمثل ٧٣٪ من أسباب هذا المرض القاتل .

٢ – لا يمكن الاصابة بالمرض بمجرد الاقتراب من الضحية أو ناقل الفيروس فى المكتب أو السينما مثلاً ، وإنما تتم الإصابة عن طريق الممارسة الشاذة .

٣ – ان مدمنى المخدرات عن طريق الحقن لهم نصيب وافر فى احتمال الاصابة بهذا المرض ، لأن فيروسه ينتقل عن طريق الدم ، وقد ظهرت حالات المرض على اطفال فى بداية العمر ، أجريت لهم عمليات نقل دم تبين أنها كانت ملوثة بالفيروس ، لأنها أخذت من اشخاص يحملونه .

على ان اغرب ما أعلنه الأطباء أخيراً ، هو الذى جرى منذ يومين أثنين ، عندما تم اكتشاف فيروس المرض فى دموع مريض مصاب « بالإيدز » وهو ما جعل الأطباء يفكرون فى الهروب من علاج هؤلاء المرضى ، خوفاً من انتقال المرض إليهم إذا كان فيروسه موجوداً فى الدموع (**وإذا كنت قد تحدثت طويلاً عن مرض الإيدز فى الأيام**

الماضية فلقد كان ذلك قصداً منى لتنبيه الشباب المصرى الذى تتاح له فرصة السفر إلى الخارج لأن الاغراءات هناك كثيرة وخير سلاح لمواجهتها هو المعرفة والمصارحة) ثم أننى أيضاً قصدت تشجيع حملات التبرع الداخلية بالدم ، وبحيث لا يأتى يوم نضطر فيه إلى اللجوء لاستيراد أية كميات دم نسد بها نقصاً محلياً نواجهه ، وها نحن نرى دماءهم فى الخارج ليست نظيفة تماماً ، واحتمال تلوثها بالفيروس القاتل وارد .. ومرة أخرى .. هى الحكمة الالهية التى تعرف ما يجهله البشر .. وبعض الأفراد يتحدون هذه الحكمة ، ويزين لهم غرورهم انهم قادرون على الاستمرار فى التحدى .. وقد ينجحون بعض الوقت ، ولكنهم أبداً ، لا يستطيعون كل الوقت ..

● وفى بعض الأنباء الصحفية ، فى إحدى الجرائد العربية ، وتحت عنوان « **سعودى أول ضحايا الإيدز** » ، قالت الجريدة : لقى مواطن سعودى فى الأربعين من عمره حتفه متأثراً بمرض « الإيدز » بسبب عملية نقل دم مستورد من ولاية فلوريدا الامريكية وملوث بفيروس الإيدز .. وقال الدكتور « جون جدوين » رئيس قسم الباثولوجيا بمستشفى الملك فيصل التخصصى ان هذا الموطن أول ضحية لهذا المرض فى الشرق الأوسط .

● وفى أغسطس أيضاً من عام ١٩٨٥ تحت عنوان « **حملات بالكويت لضمان خلو الدم من الإيدز** » ، احدى صحف القاهرة تقول : يبدأ بنك الدم الكويتى عقب عطلة عيد الأضحى المبارك – بعد أيام من النشر – فى فحص عينات الدم الموجودة لديه للتأكد من خلوها من مرض الإيدز الذى ظهر فى السنوات الأخيرة فى الولايات المتحدة الامريكية وانتشر فى عدد من دول العالم . وذكرت صحيفة

كويتية نقلاً عن مسئول فى بنك الدم ، ان أجهزة حديثة ومتطورة وصلت إلى البنك منذ أسبوع لفحص عينات الدم .

وتحت عنوان « **وفاة مسئول بريطانى سابق بمرض الإيدز** » كتبت إحدى صحف القاهرة تقول : كشفت صحيفة نيوزاوف ذى وورلد البريطانية ان وفاة اللورد « آفون » نجل انتولى ايدن رئيس الوزراء الأسبق وهو نائب وزير البيئة السابق فى احد مستشفيات لندن منذ أيام كانت بسبب إصابته بمرض الإيدز .

وقالت الصحيفة نفسها فى عدد آخر تحت عنوان « مؤتمر دولى عن الإيدز » : حول مرض الإيدز الذى يسبب انهياراً فى جهاز المناعة بجسم الإنسان ، يقام فى أكتوبر القادم مؤتمر دولى فى مدينة « بانجى » بافريقيا الوسطى ، ويحضر المؤتمر عدد من المتخصصين من مختلف انحاء العالم مع علماء معهد « باستير » الفرنسى الذى يجرى ابحاثا مكثفة لاكتشاف الفيروس المسبب لمرض الإيدز ، وذلك بعد تزايد عدد ضحايا هذا المرض ومن اشهرهم الممثل الامريكى « روك هدسون » وقد أجريت اتصالاً شخصياً مكثفاً مع معهد باستير الفرنسى وسأحاول حضور هذا المؤتمر الدولى بإذن الله .. ليكون لى الشرف كأول مصرى بل وأول عربى يشارك فى أعمال هذا المؤتمر الهام وسوف ألقى بحثا طويلاً عن نشأة هذا المرض وطرق الوقاية منه .

واضافت الصحيفة فى عدد من اعدادها الصادر فى سبتمبر ١٩٨٥ تحت عنوان « **مخاوف فى أمريكا من انتشار مرض الإيدز بين جنود الجيش** » كتبت تقول : فى اطار موجة الذعر الشديد الذى

تجتاح العديد من عواصم العالم ، بسبب مرض الإيدز القاتل ، أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية انها ستبدأ فى اجراء اختبارات وفحوص طبية على جميع المجندين الجدد لاستبعاد حاملى فيروس « الإيدز » الذى يسبب انهياراً فى جهاز المناعة بجسم الإنسان .. وقال وليام مايرز مساعد وزير الدفاع الأمريكى ان المجندين الجدد سيخضعون من أول أكتوبر ١٩٨٥ لاختبارات الدم ، وفحوص اخرى دقيقة من أجل استبعاد حاملى المرض من الخدمة العسكرية . واشار المسئول الأمريكى إلى أن الاختبارات الطبية سوف تجرى على جميع الراغبين فى الانضمام إلى الجيش الأمريكى ، بما فيهم الضباط ، وتكهن مايرز بانه سيتم اكتشاف ٧٥ حالة مصابة بالإيدز كل شهر فى صفوف المجندين الإمريكيين ، وذلك استناداً إلى الإحصائيات الطبية التى تؤكد انتشار المرض على نطاق واسع وبسرعة كبيرة بين الامريكيين .

● وكتبت الصحيفة نفسها فى عدد آخر بعد ذلك ، وتحت عنوان « **الإيدز يقاوم وسائل مكافحته** » تقول : فى دراسة اجريت مؤخراً فى بريطانيا ، بواسطة علماء المعهد القومى للسرطان ، بالاشتراك مع مركز ابحاث الجيش ، تبين ان الفيروس المسبب لمرض الإيدز يستطيع تغيير الغلاف الخارجى له مرات عديدة فى غضون فترة قصيرة ، مما يعنى انه قادر على التغلب ليس على جهاز المناعة الطبيعى للجسم فقط ، بل وعلى الأدوية واللقاح الوقائى التى قد يتمكن العلماء من انتاجها لمحاربته ويعتمد مثل هذا اللقاح فى انتاجه على القشرة الخارجية للفيروس المسبب للمرض ، ورغم ذلك فإن العلماء لم يفقدوا الأمل فى استنباط لقاح واقٍ ضد المرض اعتماداً على المكونات الداخلية للفيروس

وكتبت مجلة مصرية فى عددها الصادر فى ٥ سبتمبر ١٩٨٥ تحت عنوان « **كيف نحمي المجتمع من لعنة الإيدز** » ، كتبت تطالب بانشاء معمل لتحليل دم القادمين من الدول التى بها مرض « الإيدز » فى مطار القاهرة الدولى كاجراء وقائى لمنع تسرب المرض إلى مصر .

● وفى تحليل واسع اجرته مجلة « التايمز » العالمية فى ١٢ اغسطس ١٩٨٥ قالت المجلة : ان مرض « الإيدز » لا يهدد فقط مرضى الشذوذ الجنسى ومدمنى المخدرات ، بل أصبح يهدد أيضاً من يتعاملون مع الجنس بطريقة طبيعية واضافت المجلة ان العالم قد عرف العديد من الأوبئة ، مثل وباء الكوليرا الذى قضى على أكثر من مليون روسى سنة ١٩٤٨ ، وكذلك وباء الإنفلونزا الاسبانية الذى قضى على اكثر من نصف مليون امريكى سنة ١٩١٨ ولكن مع ضراوة هذه الأوبئة كان دائماً هناك الأمل فى إمكانية المواجهة الفعالة وإمكانية نجاح الإنسان فى أن يحمى نفسه من الهلاك .

أما عن مأساة هذا الوباء الجديد المسمى « بالإيدز » فيقول الدكتور مايكل جوتليب ، اخصائى المناعة والمشرف على علاج الممثل الكبير روك هدسون ، ان كلمة الشفاء لا توجد فى قاموس العلاج من هذا المرض ، ويضيف ان بدايته مع مرض الإيدز ترجع إلى شتاء ١٩٨١ ، حينما اكتشف اربعة مرضى يعانون من التهاب غير عادى وجديد فى الرئة ، يصيب المرضى الذين ضعف جهازهم المناعى ، والمصابين بالسرطان ، أو من نقل إليهم أعضاء جديدة مثل القلب أو الكلى ، ولكن هؤلاء المرضى الأربعة شذوا عن هذه القاعدة لأنهم كانوا فى الثلاثينات ، ويتمتعون قبل المرض بصحة جيدة وان كان الأربعة يمارسون الشذوذ الجنسى . وقد صرح الدكتور جوتليب

عندما شهد التدهور ا لسريع فى هذه الحالات الأربع أنه كان يشهد حدثاً طبياً جديداً ومجهولاً ، ولا يعلم ابعاد هذا المرض الغريب ، ولذلك اخطر الجهات الطبية الفيدرالية .

● وفى يونيو ١٩٨١ اصدر معهد اتلانتا لمكافحة الأمراض أول تقرير طبى عن المرض الجديد الغريب ، وفور صدور التقرير ابلغ اطباء من سان فرانسيسكو ونيويورك عن ظهور الوباء فى الشباب الذين يمارسون الشذوذ الجنسى ، ولم يكن هذا هو الشىء الوحيد الذى يعانى منه هؤلاء الشباب ، ولكن كان هناك أيضاً بعض أنواع سرطان الجلد الخطيرة ، مثل « كابوزى ساركوما » الذى يعتبر وجوده نادراً فى هذه المنطقة ، وبالإضافة إلى ذلك كان المرضى يعانون من اصابتهم ببعض أنواع الفطريات مثل « الكانديدا البيكانز » الذى يسبب التهابات وتقرحات حول الفم وفى الحلق تجعل المريض يعانى من صعوبة فى الكلام وفى الأكل بالإضافة إلى التهابات فى الاعضاء التناسلية وكذلك فى منطقة الشرج ولوحظ أيضاً بين هؤلاء المرضى اصابات كثيرة بالجراثيم والميكروبات تصيب الجهاز الهضمى ، وتسبب لهم حالات خطيرة من الاسهال ، وفقد سوائل الجسم ، مما يضيف المزيد من تدهور حالتهم الصحية .

وفى نهاية أغسطس من نفس العام ١٩٨١ ، أى بعد أقل من ثلاثة أشهر من صدور هذا التقرير الأول ظهر أكثر من ١٠٠ حالة من هذا المرضى سمى « الطاعون المرح » ، بينها ست حالات فقط يمارسون الجنس بطريقة طبيعية وغير شاذة . وقد لاحظ الدكتور جوتليب ، بعد ظهور المرض فى الحالات الأربع الأولى تدميراً كاملاً لنوع من خلايا الدم البيضاء تسمى الخلايا الليمفاوية ت (T-Lymphocyte) التى تعتبر

قائد الأوركسترا لجهاز المناعة فى الجسم ، وبدأ البحث بعد ذلك موجهاً ومركزاً نحو اسباب هذا المرض ، وكان هناك العديد من النظريات :

١ – ارتباط هذا المرض باستنشاق بعض المركبات الكيمياوية التى تزيد من المتعة الجنسية وكان هذا هو سبب تسمية المرض « بالطاعون المرح » لكن هذا الاعتقاد استبعد سريعاً .

٢ – تكرار حدوث الاتصال الجنسى الشاذ من خلال فتحة الشرج يدخل الحيوان المنوى إلى الدم ، وهذا يضعف من مناعة الجسم بدرجة كبيرة .

٣ – نظرية « تحميل جهاز المناعة » ، التى تقوم على أساس أن أكثر مرضى الإيدز عاشوا حياةً جنسية نشيطة جداً ومتنوعة ، مع مئات الأطراف الأخرى ، وكان لدى هؤلاء المرضى تاريخ طويل من الأمراض الجنسية والأمراض المعدية مما أدى على المدى الطويل إلى ضعف جهازهم المناعى واستهلاكه واستسلامه للاصابة بمرض الإيدز .

وللأسف تبين ان هذه النظريات الثلاث لا يمكن ان تعتبر السبب الحقيقى لمرض « الإيدز » ، بسبب ظهور حقائق جديدة تثبت ان مرض الإيدز يسببه فيروس مُعْدٍ يمكن انتقاله من إنسان إلى آخر ، من خلال الاتصال الجنسى ، أو من سوائل الجسم المختلفة ، وهذه الحقيقة تم اكتشافها بعد دراسة ظروف تسعة مصابين بمرض « الإيدز » ، وارتباط مرضهم بالممارسة الجنسية مع اشخاص حاملين لفيروس الإيدز ، ودعم هذا الافتراض بالحالات المتزايدة من هذا المرض ، والتى كانت مرتبطة بتعاطى وادمان المخدرات التى تحقن فى الوريد .

وتبين أن هؤلاء المدمنين يتقاسمون العدوى وهم يتقاسمون المخدرات ، إلى ان جاء المستند الاكلينيكى ، وكان أثبات وجود مرضى «للإيدز» بين حالات النزف الدموى الذى تم نقل دم إليهم لتعويضهم وعلاجهم من نقص الدم (الانيميا) .

وتقول مارجريت هيكلر ، سكرتيرة الصحة والخدمات الإنسانية ، ان اكتشاف فيروس الإيدز جاء أسرع مما كان يتصور العلماء إذا قورن بالسنوات العديدة التى بذلها العلم قبل ذلك لاكتشاف بعض الفيروسات الأخرى .

وفى مايو ١٩٨٣ اكتشف فريق من الأطباء فى معهد باستير الفرنسى فيروساً جديداً تصوروا أن له دوراً مهماً فى حقيقة هذا الإيدز ، ثم أعلن الدكتور روبرت جالو من معهد السرطان الدولى الأمريكى انه تعرف نهائياً على فيروس الإيدز ، ويمكن تحضيره بكميات كبيرة . وفى مؤتمر صحفى قال الدكتور جالو : لقد أضفنا اليوم معجزة جديدة إلى تاريخ الطب العلمى والمشرف فى الولايات المتحدة الأمريكية . هذا ويقول الدكتور كليفورد لين ، العالم بمنظمة الصحة العالمية ، ان هذا الفيروس عندما يقتحم الخلية الليمفاوية ت ، المسئولة عن مناعة الإنسان ، لا يكتفى بأن يدمرها فقط ، بل يحولها إلى مصنع ينتج ملايين الفيروسات المعدية والمسببة لمرض الإيدز .

وقد ثبت ان فيروس الإيدز له تركيب مميز يجعل تكاثره داخل الخلية الليمفاوية اسرع ألف مرة من قدرة فيروس الإنفلونزا على الإنقسام ، وهذا هو سر انتشار هذا الوباء فى فترة قصيرة . وعندما ينجح فيروس الإيدز فى القضاء على الخلية الليمفاوية ت ، يكون

المرض غير قابل للشفاء . وقد صرح الدكتور جيمس كوران ، رئيس قسم مكافحة الأمراض فى مركز الأمراض المعدية فى نفس العدد من مجلة التايمز ، بقوله ان فيروس الإيدز قد يكون غير قاتل ، وقد يتعايش مع مجموعة كبيرة من الأشخاص لا تظهر عليهم العلامات الخطيرة للمرض ، بل يكونون حاملين لهذا الفيروس فقط ، وتكون شكواهم غير مزعجة ، وليست اكثر من ارهاق بسيط وفقد شيء من الوزن ، وتضخم بعض الغدد الليمفاوية .

واطلق الدكتور كوران على هده الفئة من المرضى اسم « الاعراض المصاحبة للإيدز » (AIDS - Related - Complex - ARC) وبالنسبة لهذه الفئة من المرضى بالاعراض المصاحبة للإيدز يقول الدكتور : ان ٢٠٪ منهم سوف يعانون من مرض الإيدز الحقيقى خلال ٣ سنوات فقط . وهناك فئة اخرى من حاملى فيروس الإيدز بدون أى أعراض ، وتم اكتشاف الفيروس فى دمائهم ، ويقدرون بحولى مليونى مواطن امريكى .. يقول التقرير أن ١٠٪ منهم سوف يصابون بمرض الإيدز خلال السنوات الخمس القادمة . ويتساءل العلماء حتى الآن كيف يستطيع بعض الناس الحياة السلمية مع الفيروس المسبب للإيدز ؟ وان كان الكثير من العلماء يفتقدون ان الاصابة بفيروس آخر ، مثل فيروس الهربز وفيروس التهاب الكبد الوبائى ، قد تكون سبباً فى زيادة فرص الاصابة بفيروس « الإيدز » الخطير وتدهور حالة المريض الذى يجمع بين فيروس الإيدز وبعض الفيروسات الأخرى . ويقول أحد الباحثين الكنديين ، ممن يعملون فى شرق أفريقيا ، ان البغاء يلعب دوراً أساسياً فى انتشار المرض بوسط أفريقيا ، واكثر الرجال المصابين بالإيدز هناك يمارسون الجنس

مع اكثر من امرأة واحدة . ويعتقد هذا الباحث أن الإنحلال الجنسى بين الرجال والنساء فى وسط أفريقيا جعل نسبة الإصابة بالإيدز متساوية بين الرجال والنساء . ويرى عالم الفيروسات الانجليزى ميرون ، الذى يعمل فى جامعة « هارفرد » ، ان هناك مصاباً واحداً بالإيدز بين كل عشرين مواطناً فى منطقة افريقيا التى تضم كينيا واوغندا وتنزانيا . وقد اشار بعض الباحثين إلى أن إنعدام النظافة بين سكان هذا العالم الثالث هو العامل الرئيسى فى انتشار الفيروس ، وهذا الافتراض تؤكده حقيقة هامة ، هى انتشار وباء الإيدز فى احدى المدن الامريكية بولاية فلوريدا ، والتى تسمى مدينة « بل جلاد » حيث يبلغ عدد سكانها ١٩ ألف نسمة منهم ٤٦ مصاباً بمرض « الإيدز » والجدير بالذكر أن مدينة « بل جلاد » هذه تنتشر بها الحشرات والفئران ومرض السل بصورة كبيرة . ويضيف العالم ميرون ان أساس فيروس الإيدز انتقل إلى سكان وسط افريقيا من « القرد الأخضر » . وبعد أخذ « عينات » دم من ٢٠٠ قرد اخضر فى وسط افريقيا تبين انه مصاب بفيروس الإيدز بنسبة ٧٠٪ ! وقد تكون هذه الملحوظة ذات أهمية كبيرة فى مستقبل الابحاث التى تجرى على هذا المرض .

أما عن إنتقال وباء الإيدز خارج وسط أفريقيا فيعتقد الباحثون ان العديد من سكان « جزر هاييتى » كانوا يعيشون فى كينشاسا وزائير منذ عام ١٩٦٠ إلى ١٩٧٥ ثم انتقلوا حاملين المرض إلى أمريكا الشمالية وأوربا .

وفى مؤتمر أبحاث الدم صرح العالم « ميرون » بأنه تم التوصل بنجاح كبير يبلغ ٩٩,٨٪ إلى اكتشاف تجربة معملية تكتشف بها

الإصابة المبكرة بمرض الإيدز .

وتقول هذه المقالة فى النهاية إن مرض الإيدز قد يُصلح من اخلاقيات المجتمع فى المستقبل القريب ، لأنه بلا جدال سيحد كثيراً من انتشار ظاهرة الشذوذ الجنسى ، وكذلك من ظاهرة النشاط والإنحلال الجنسى بين الرجال وبين النساء على السواء .

● هذا وتروى مجلة « لايف » الأمريكية فى عددها الصادر فى يوليو ١٩٨٥ ، قصة احدى السكرتيرات ، وتسمى سونيا شيرمان فى الرابعة والثلاثين من عمرها ، وكانت على علاقة لمدة عام برجل يمارس الجنس مع الطرفين ، وبعد سنة من انفصالها عنه فى سنة ١٩٨٣ ظهر عندها طفح جلدى لا يختفي ، وبدأ جهاز المناعة عندها يصاب بضعف تدريجى ، وتبع هذا تشخصيها بأنها مصابة بمرض « الإيدز » وقد تغلبت سونيا حتى الآن على أربعة أمراض ميكروبية خطيرة ، منها التهابات فى الرئة ، وهذا يعتبر انتصاراً عظيماً على مرض الإيدز حتى الآن . وقد حاول الأطباء معها الكثير من الأدوية والعقاقير التى أدت إلى فقدان خطير فى حاسة السمع عندها .

والآن ، وقد توفى إثنان من اصدقائها بمرض الإيدز ، كتبت سونيا وصيتها ، بل واعدت الوعاء الذى يضم جثتها بعد الوفاه ، وتقول ان والدتى كانت تأمل فى ان تستخدم هذا الوعاء يوماً للزهور ، ولكن يجب علىّ ان اكون اكثر واقعية .

● وآخر التقارير التى تلقيتها قبل أن أدفع بهذا الكتاب فى طريقه إلى المطبعة ، كان تقريراً من منظمة الصحة العالمية بتاريخ ١٢ سبتمبر ١٩٨٥ ، يقول ان عدد ضحايا مرض الإيدز ارتفع فى العالم حتى

نهاية أغسطس ١٩٨٥ ليبلغ ١٤,٠٠٠ حالة وفاة ، ويتوقع التقرير ان يكون هناك عدة ملايين آخرين حاملين لفيروس « الإيدز » ولا تظهر عليهم أعراضه ، بل ويمكن أن ينقلوا العدوى إلى الآخرين . ويوصى التقرير الخطير بالإلتزام بسبل النظافة العامة ، وتعقيم الحقن ، ومراقبة نقل الدم ، وتجنب الشذوذ الجنسى والدعارة ، كما يشير إلى النساء الحاملات للميكروب ، وينصحهن بعدم الحمل خوفاً من اصابة الجنين بهذا الداء اللعين .

العدوى ... والمناعة

فى هذا الباب سأحاول تلخيص «**ما هى المناعة**» للقارىء العزيز ، مع شرح مختلف الطرق التى يواجهها الجسم عندما يصاب بأى عدوى من الحياة .. على أن نبدأ أولاً بتفسير كلمة العدوى :

العدوى بأى جرثومة من الجراثيم لا يمكن أن تتم ما لم تتوافر الشروط الآتية :

أولاً : تنقل الجرثومة سواء ، كانت بكتيرية أو فيروسية ، إلى خلايا الإنسان ، أو بمعنى أدق إلى خلية معينة من هذه الخلايا تعدّ العائل لتلك الجرثومة .

ثانياً : تتكاثر الجرثومة داخل الخلية الأولية التى تواجهها من خلايا الجلد ، أو الأمعاء ، ثم تنتقل عن طريق الدم ، أو الأوعية الليمفاوية ، إلى باقى أعضاء الجسم ، لتستقر فى خلايا جديدة معينة تعدّ العائلَ الثانى لهذه الجرثومة داخل الجسم

الواحد . وفى داخل هذا العائل الثانى يتم تكاثر الجرثومة مرة أخرى .

ثالثاً : تجد هذه الجرثومة مخرجًا لها من جسم الإنسان حتى تصيب إنساناً آخرَ ، وآخرَ .. وتدور دورة حياة الجرثومة . وغالباً ما تجد الجراثيم طريق الخروج من الإنسان عن طريق البول ، أو البراز ، أو السائل المنوى ، أو الرذاذ المتناثر من الرئة عند السعال ، أو من الأنف عند العطس .

رابعاً : الانتقال بين إنسان وإنسان .. وهذا ممكن من خلال اتصال جنسى ، أو من خلال حشرة مثل البعوض ، أو من ملامسة المريض نفسه .

والجدير بالذكر أن العدوى بالجراثيم شيء طبيعى يحدث للإنسان كل يوم ، دون ظهور أى اعراض مرضية . والقليل جداً من حالات العدوى هو الذى يظهر بصورة مَرَضية ، ويسبب امراضاً معينة يلزم لمواجهتها تدخل طبى سريع وحاسم .

أنواع الجراثيم :

هناك نوعان رئيسيان من الجراثيم بالنسبة للإنسان هما :

١ - جراثيم مرضية وهذا النوع من الجراثيم يسبب أمراضاً محددة لجسم الإنسان ، مثل التيفود ، والحصبة ، ومرض « الإيدز » .

٢ - جراثيم غير مرضية وهى جراثيم تتعايش مع جسم الإنسان ، ولا تسبب له أى امراض على الاطلاق ، بل إنها قد تكون

مفيدة فى بعض الأحيان ، مثل الجراثيم الموجودة طبيعياً فى أمعاء الإنسان الغليظة ، وتكون بعض أنواع الفيتامينات داخل الجسم . ونلاحظ أن أى مريض يتعاطى أو يتناول أدوية المضادات الحيوية نعطيه معها دائماً بعض الفيتامينات ، والسبب فى ذلك أن أدوية المضادات الحيوية هذه تقضى على الجراثيم المفيدة التى تعيش فى الأمعاء ، وتكون الفيتامينات المفيدة .

وفى بعض الحالات نجد أن الجراثيم غير المرضية قد تتحول إلى جراثيم مرضية ، حينما تقل مناعة الجسم ، وهذا ما نلاحظه فى مرض البول السكرى ، عندما تزداد فرصة الاصابة بالتهابات الجلد ، نتيجة للجراثيم التى توجد بصورة طبيعية على هذا الجلد ..-ذلك أن الجراثيم قد تتحول إلى جراثيم مرضية عندما تغير المكان الذى تتعايش معه هذه الجراثيم أساساً فى جسم الإنسان ، ومثال ذلك البكتيريا التى تعيش فى الأمعاء الغليظة ولا تسبب أى مشاكل مرضية .. قد تكون شديدة الضراوة عندما تصيب الجهاز البولى فى الإنسان مثل الكلى والمثانة .

هذا ونجد صفات معينة ومتغيرة للجراثيم تحدد خطورتها .. فمن المعروف إن بعض أنواع الجراثيم يظهر منها سلالات اشد خطورة من مثيلتها ، وهذا ما نلاحظه بانفسنا عند الاصابة بفيروس قوى من فيروسات الانفلونزا ، فقد نلاحظ ان المرض يستمر أسبوعاً كاملاً .. مع أنه ، فى المتوسط لا تزيد الحمى فى الانفلونزا أكثر من يومين .. ويعتقد العلماء أن الجراثيم الأكثر شراسة هى سلالات من الجراثيم العادية ولكنها تحمل صفة من صفتين ، وقد تحمل الصفتين فى وقت معاً :

– الصفة الأولى : إمكانية الجرثومة على اخراج سم كيميائى يكون له أثره المدمّر فى جسم الإنسان .

– الصفة الثانية : هى امكانية هذه السلالة القوية فى مهاجمة الخلايا العائلة بقوةٍ وبسرعة تفوق السلالات.العادية من هذه الجرثومة ، وهذا ما نجده بالفعل مع فيروس « الإيدز » .. حيث تكون بعض الحالات من العنف والضراوة بحيث تقضى على حياة المريض فى أسابيع معدودات ، وقد توجد سلالات أخرى من فيروس « الإيدز » تسبب مرضاً أقل خطورة ، مما قد يجعل المريض يعيش لبضع سنوات .

المناعة فى الإنسان :

تقَسّم المناعة فى جسم الإنسان إلى شقين مختلفين ، الشق الأول : ويسمى المناعة العامة للجسم ، وهذا النوع يولد مع الإنسان ويحميه من مختلف أنواع الجراثيم ، دون أن يفرق بين جرثومة .. وجرثومة . إنه خط وقائى عام . أما الشق الثانى فتعتبر المناعة فيه خطاً وقائياً محددًا تجاه ميكروب معين ، ويسمى المناعة المحددة للجسم ، كأنْ تكون هناك مثلاً مناعة ضد شلل الأطفال . بالطبع هذه المناعة لا تحمى الإنسان من الاصابة بفيروس الحصبة .

المناعة العامة للجسم :

وهذه المناعة العامة للجسم البشرى تتركز فى الأماكن الآتية :

١ – الجلد : وهو يعدّ خط الدفاع الأول للجسم ، إذ من الصعب جدًا لغالبية الجراثيم اقتحام الجلد إذا كان سليماً (بدون خدوش أو جروح) . كما ان افراز الجلد للعرق يعتبر عمليا من عمليات المناعة العامة للإنسان ، فقد ثبت أن العرق يحتوى على بعض انزيمات تسمى « ليزوزيم » هى الكفيلة بالقضاء على معظم أنواع الجراثيم .

٢ – الجهاز التنفسى : ونجد فى الجهاز التنفسى للإنسان العديد من العوامل التى تقوى من مناعة الجسم مثل :

أ – يعمل الشعر الموجود فى تجويف الأنف « كفلتر » لا يسمح للاجسام الغريبة بالاستنشاق مع الهواء .

ب –الأهداب الموجودة فى القنوات الهوائية تعمل على إخراج الاجسام الغريبة التى تستنشق مع الهواء .

جـ – تقوم الكرات الدموية البيضاء بالتهام أى جرثومة تستطيع ان تنفذ من الغشاء المبطن للشعيبات الهوائية .

٣ – الجهاز الهضمى : وفى هذا الجهاز نجد أيضاً عدة خطوط مناعية مثل :

أ – البكتيريا الطبيعية الموجودة فى الفم لا تسمح للبكتيريا المرضية « بالتواجد » معها .

ب – وجود حامض الهيدروكلوريك القوى فى المعدة يقتل معظم الجراثيم المرضية التى قد تلوث الأطعمة .

جـ – الانزيمات المعوية الهاضمة للطعام تتمتع بالقدرة على تفتيت معظم أنواع البكتيريا المرضية .

د – البكتيريا المستوطنة بصورة طبيعية فى الأمعاء الغليظة لا تسمح بنمو أنواع أخرى من البكتيريا المرضية .

٤ – الجهاز التناسلى للمرأة : وهنا نجد أن الجدار المبطن للمهبل فى المرأة مغطًى بالعديد من الطبقات السميكة التى تحول دون دخول الميكروبات من خلال جدار المهبل . كذلك نجد أن البكتيريا التى تعيش بصورة طبيعية فى المهبل تجعله دائماً حامضياً ، وهذه الحموضة تمنع الجراثيم من التكاثر فى المهبل .

٥ – الجهاز القناص فى الجسم : وهو عبارة عن مجموعة كبيرة من الخلايا المنتشرة فى جميع أعضاء الجسم ، ووظيفتها الرئيسية اقتناص أى جراثيم دخيلة ، أو أى أنسجة دخيلة ، على جسم الإنسان ، حيث تقوم هذه الخلايا القناصة بتفتيت تلك الاجسام الغريبة للتخلص منها . وتوجد هذه الخلايا فى كرات الدم البيضاء ، والغدد الليمفاوية ، والكبد ، والطحال ، وكذلك فى الرئة . أى أن هذه الخلايا الهامة موجودة تقريباً فى جميع أجزاء الجسم . وتتعرف الخلايا القناصة على فريستها من خلال بعض المواد الكيميائية التى تفرزها هذه الجراثيم ، وتكون عملية الاقتناص أسهل لهذه الخلايا إذا كانت هناك اجسام مضادة طبيعية فى الدم ، أى إذا كانت هناك مناعة طبيعية ضد هذه الجراثيم ، فبذلك تكون عملية القنص أسهل

وأسرع وأشد فعالية .

هذه صورة مبسطة من المناعة العامة التى يمتلكها جسم الإنسان ، ويستطيع بها تكوين خط الدفاع الأول فى مناعة الجسم ..

والآن ... لنتخيل أحدَ هذه الجراثيم والفيروسات وقد نجح بالفعل فى الدخول إلى أعماق الجسم البشرى ، بعد ما استطاع التغلب على جميع العوائق الطبيعية التى ذكرناها ، فماذا يكون رد الفعل التلقائى للجسم فى هذه المواجهة الجديدة ؟

إن الذى يحدث فى الواقع ، عند دخول الميكروب إلى مختلف الجسم ، يمكن تلخيصه فى هذه النقاط :

١ – يحدث تفاعل مباشر بين هذا الميكروب وبين خلايا النسيج المصاب ، ويكون الغرض من هذا التفاعل محاصرة الميكروب فى منطقة محددة ، وعدم السماح له بالانتشار إلى بقية النسيج ، وبالتالى عدم السماح بالانتشار عن طريق الدم إلى بقية أعضاء الجسم وانسجته . ويكون هذا التفاعل الأولى على صورة التهاب محدد فى النسيج ، يصاحبه ارتفاع فى درجة حرارة المريض يسمى « حمى الالتهاب » .

٢ – يبدأ الجسم فى الوقت نفسه تكوينَ مضادات حيوية بروتينية لتكوين المناعة المكتسبة للجسم ، والتى قد تكون مناعة طول العمر ، أو قد تكون مناعة لبضعة أسابيع فقط ، إذ أنها تعتمد على نوع الميكروب المهاجم .

معركة .. يجب التعرف إلى أبعادها :

والآن ، يجب أن نناقش هذه الأمور بشيء من التفصيل ، لنتعرف على أبعاد هذه المعركة التى تقع وتحتدم بين الميكروب الغازى وجسم الإنسان .

أولاً : دخول الميكروب وتكاثره داخل النسيج ، يؤدى إلى نشاط الدورة الدموية داخل هذا النسيج ، وبالتالى زيادة وصول خلايا الدم إلى مكان الالتهاب ، لتحارب الميكروب ، وهذا يؤدى بالطبع إلى الورم الذى نجد دائماً أنه يصاحب أى التهاب فى الجسم .

ثانياً : هناك ميكروبات يستطيع النسيج أن يحاصرها بسهولة ويسر ، وبالتالى يكون الالتهاب محددًا جداً ، وهذا ما يسمى « بالخراج » ... وسبب ذلك بالتحديد فى انتشار الالتهاب يرجع إلى مادة « الفيبرين » التى تترسب حول مكان الالتهاب ، نتيجة افراز انزيم معين من الميكروب يسمى « انزيم الكواجيليز » .

ثالثاً : هناك ، على العكس من ذلك ، ميكروبات لا يستطيع الجسم أن يحاصرها ، لأنها تملك قوة ذاتية على الانتشار داخل الانسجة وداخل الجسم . وقوة انتشارها هذه ترجع إلى بعض الانزيمات التى تفرزها تلك الجراثيم ، وهى انزيمات قادرة على تفكيك وهضم الانسجة الضامة فى اعضاء الجسم المختلفة . والمعروف ان الانسجة الضامة موجودة ومنتشرة فى أعضاء الجسم المختلفة ، لتربط خلايا

العضو الواحد بعضها ببعض .

رابعاً : ان اقتحام الميكروب لجسم الإنسان يسبب له ارتفاعاً فى درجة الحرارة . وكان المعتقد قديماً ان هذه الحمى التى تطرأ فى الجسم مفيدة له ، لأنها تمنع تكاثر هذه الجراثيم فى درجة الحرارة المرتفعة . وبعد غير القليل من التجارب التى تم اجراؤها ، تبين ان استخدام الأدوية لخفض درجة الحرارة المرتفعة لا يقلل من مواجهة الجسم للميكروبات المقتحمة والغازية ... ولكن المزايا التى تعود على الإنسان ، نتيجةً للحمى التى تحدث بعد الاصابة بالميكروبات ، قد تنطوى على الفوائد التالية :

أ – تعتبر هذه الحمى انذارًا مهمًا يحمل الإنسان على الاسراع فى استشارة الطبيب ، والبحث العاجل عن العلاج . ولنتخيل معاً عواقب العدوى ، والالتهابات ، والجراثيم ، إذا هاجمت الإنسان بدون هذا الانذار ، لابد إذن من انها كانت كفيلة بالقضاء عليه دون ان يتنبه لها أو يلتفت إليها ، طالما كانت بلا أعراض تساعده على اكتشاف ما وراءها .

ب – ارتفاع درجة الحرارة من ٣٧° م إلى ٤٠° م يزيد من تدفق الدم داخل الأوعية الدموية .. ذلك لأنه يقلل من لزوجة الدم ، وبالتالى تنشط الدورة الدموية داخل الجسم ، مما يزيد مناعته ، لأنها بالتالى تزيد من وصول الخلايا القناصة إلى مكان الالتهاب .

خامساً : ارتفاع درجة الحرارة بعد أى التهاب فى الجسم يرجع إلى سببين :

أ - خروج السموم من داخل الجراثيم بعدما قتلتها أجهزة المناعة . وهذه الملاحظة نستطيع أن نكتشفها ونلاحظها دائماً ، بعد أى تطعيم يستخدم فيه ميكروب مقتول ، مثل التطعيم ضد مرض التيفود ، والذى غالباً ما يصاحبه ، ويعقبه ارتفاع فى درجة حرارة الإنسان .

ب - نتيجةً للمعركة بين الميكروب وانسجة الجسم ، تفقد بعض خلايا الجسم حيويتها وتموت . وقد ثبت ان خلايا الجسم الميتة داخل جسم الإنسان ، غالباً ما ترفع درجة حرارة الجسم ، وتكون مسئولة عن الحمى التى تحدث نتيجة للإلتهاب ، أو نتيجةً للإصابة بالأورام السرطانية التى تسبّب أيضاً موت الخلايا . وكذلك قد تكون الحمي أحد أعراض الانيميا الشديدة ، نتيجةً لموت خلايا الجسم ، وبسبب نقص الأوكسجين المفروض حمله فى كرات الدم الحمراء ، والتى تقل جداً نتيجةً للأنيميا التى غالباً ما تحدث بعد حالات النزف الشديدة .

العوامل المتحكمة فى مناعة الجسم :

توجد عوامل عديدة تحكم مناعة الجسم ، نذكر منها على سبيل المثال :

١ - هناك جراثيم تهاجم فصيلة معينة من الحيوانات ، مع انه ليس لها أى قوة مرضية على اصابة الحيوانات الأخرى . ومثال هذا يبدو واضحاً فى ميكروب السل الذى يصيب الطيور .. فان هذا الميكروب يسبب مرض السل فى الطيور ، لكنه لا يسببه فى الإنسان .

٢ - هناك جراثيم تواجه اجناسا من البشر ، اكثر من مواجهتها للاجناس الأخرى .. وخير مثال لهذا نجده فى فطر يسمى (كوكسيديو ميكوزوس Coccidio mycosis) فقد تبين أن هذا الفطر يصيب جلد الرجل الأسود بالذات ، فى حين ان خطورته محدودة بالنسبة إلى الرجل الأبيض .

٣ - تلعب صفات الوراثة الجينية فى الإنسان دوراً هاماً فى اصابته بالامراض المعدية ، فقد ثبت أن بعض الامراض الوراثية ، والتى تتسبب مثلا فى نقص بعض بروتينات الدم ، تجعل الجسم اكثر تعرضاً للاصابات المختلفة . كما ثبت أن الصفات الوراثية التى قد تغيّر من تركيب الكرات الدموية الحمراء ، جينياً وكيميائياً ، ربما يجعل لهذا الخلايا الحمراء المريضة اكثَر وقايةً وأقل تعرضاً للاصابة بميكروب الملاريا .

٤ - العوامل الفردية : وجد أن العوامل الفردية بين افراد البشر

تلعب دوراً هاماً فى مناعة الإنسان . ومن السهولة بمكان ، لأى فرد منا ، أن يتذكر فى حياته شخصاً أو أكثرَ لديه مناعة أقوى من المناعة المألوفة بين الناس ، فهناك مثلاً أشخاصٌ لم يصابوا بالانفلونزا على امتداد حياتهم بطولها .. واشخاص آخرون بلغوا الخمسين أو الستين من أعمارهم ولم يصابوا بأى مَرَض مُعدٍ على الاطلاق . بَيْدَ أن هذه بالطبع عوامل فردية ، قد تكون وراثية ، وقد تكون مكتسبة نتيجةً لتغذية علمية محددة ، وقد تكون وراءَها أسباب وعوامل لا نعرفها حتى الآن .

٥ – عمر الإنسان : ولا شك انه يلعب دوراً مهمًا فى تحديد مناعته ، فمن المعروف أن مناعة الأطفال محدودة تجاه الفيروسات فى سنواتهم الأولى ، وذلك لعدم نمو خلايا المناعة النمو الكافى لتكوين بروتين « الانترفيرون » الذى يتكوّن فى البالغين ليهاجم الفيروسات . وكذلك الحال فى سن الشيخوخة ، حينما يزحف العمر ليضعف خلايا الجسم المختلفة ، بما فيها خلايا المناعة .

٦ – العوامل الهرمونية : من المعروف فى عالم الطب أن الهرمونات تؤدى دوراً هاماً فى تحديد مناعة جسم معين ، والدليل على ذلك يتبين واضحاً فى البول السكرى الذى يحدث نتيجة نقص هرمون « الانسولين » فمن المعروف ان هؤلاء المرضى تقل مناعتهم إلى درجة كبيرة ، بل وتصبح الميكروبات غير المرضية ، والتى تعيش بصورة طبيعية مع معظم الناس .. تصبح ميكروبات مَرَضية بالنسبة لهم بالذات ، مما يحتاج الأمر

معه إلى علاج سريع . وأهم علاج هذه الحالات يكون بحقن هرمون « الانسولين » وعلى العكس ، هناك هرمون « الكورتيزون » الذى يقلل من مناعة الجسم ، ويساعد على انتشار العدوى داخل جسم الإنسان ، ولذلك لا يعالج أى إنسان بهرمون الكورتيزون إذا كان مصاباً بأى مرض من الأمراض المعدية .

المناعة المكتسبة للإنسان :

عندما يدخل أى جسم غريب إلى جسم الإنسان ، غالباً ما يكون هذا الجسم الغريب محتوياً على مادة بروتينية مثل البكتيريا أو الفيروسات ، يبدأ جهاز المناعة المكتسبة فى الإنسان تكوينَ بروتين آخر معين ، يسمى هذا البروتين المتكون « الاجسام المضادة » ، لانه يضاد الجسم الغريب ، بأن يتفاعل معه ، ويشل حركته ، بل ويقضى عليه . ولكن ، لكى تحدث هذه المناعة المكتسبة يتحتم توافر الشروط الآتية :

١ – يجب أن يكون هذا البروتين غريباً على تركيب جسم الإنسان ، لأن أجهزة المناعة فى الجسم تعرف كل تركيب كيميائى فيه ، ولا تكون له اجسام مضادة لمحاربته . وفى بعض الحالات الشاذة تفقد أجهزة المناعة هذه الخاصية الهامة ، وتكون اجساماً بروتينية مضادةضد انسجة الجسم المختلفة . ومثال هذا ما يحدث فى مرض « الرُوماتويد » الشهير ، وبالطبع يكون علاج هذه الأمراض فى منتهى الصعوبة ، لأن المفروض العلاج الأمثل أن يوجه إلى شل جهاز المناعة فى الإنسان ،

وبالطبع يكون هذا العلاج علاجاً قاتلاً .

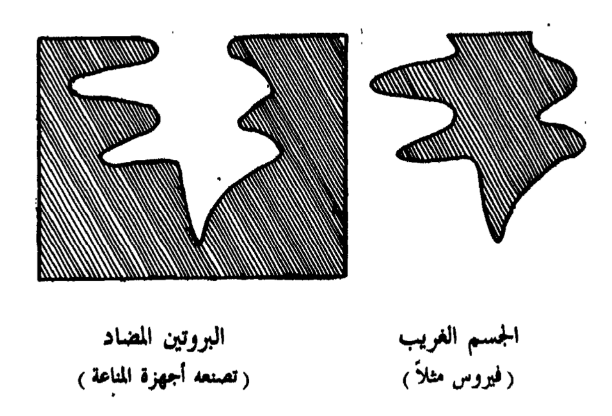
٢ - يجب أن يكون الجسم الغريب ذا حجم معين ، حتى يؤثر فى جهاز المناعة ، ويعطيه الاشارات المطلوبة لتكوين البروتين المضاد . وكلما قل حجم الميكروب ، كلما كانت امكانيات الجسم أصعب لتكوين مناعة مكتسبة من أجل مواجهته ، وهذه هى الحال مع الفيروسات التى تعُدّ أصغر الكائنات على الأطلاق .

٣ - يجب أن يكون هذا البروتين الغريب ثابتّ التركيب ، حتى تستطيع أجهزة المناعة أن تتعرف على تركيبه المحدد ، وتنتج بورتينا مضاداً محدداًيقاوم هذا التركيب الغريب ، ولكن بعض الفيروسات ، مثل فيروس الانفلونزا ، وكذلك فيروس الإيدز ، تغيّر باستمرار من تركيبها الخارجى ، مما يجعل أجهزة المناعة غير قادرة على تحديد هذا التركيب ، وتصنيع بروتين مضاد ومحدد لمواجهته .

مراحل تكوين المناعة المكتسبة :

يتم تكوين المناعة المكتسبة للجسم من خلال تكوين البروتين المضاد لبروتين الميكروب الغريب فى جهاز المناعة بالإنسان ، وهذا البروتين المضاد يكون له تركيب شكلى ، ويفصل خصيصاً للبروتين الغريب . وأحسن تشبيه له هو ذلك التشبيه الذى يطلق علماء المناعة عندما يصفون البروتين المضاد ، والذى تصنعه أجهزة المناعة فى الجسم ، بانه مثل القفل والمفتاح : قد تتشابه المفاتيح ظاهرياً ، لكن

ترتيب وتجويف « السنون » المختلفة فى المفتاح هى التى تجعله يفتح هذا القفل دون غيره . وبالذات ، إذا تخيلنا أن الجسم الغريب هو القفل ، فتكون المناعة المكتسبة أدق من خلال نجاح أجهزة المناعة فى الجسم ، فى تصنيع بروتين آخر يكون له خاصية معينة فى تركيبه تجعله مثل المفتاح : يدخل داخل اجزاء القفل ، ويقوم بفتحه .. وهذا ما يتبين من الرسم التوضيح التالى :



البروتين المضاد (تصنعه أجهزة المناعة)

الجسم الغريب (فيروس مثلاً)

وجهاز المناعة فى الإنسان ، والذى يكوّن هذه الاجسام البروتينية المضادة ، يلخص فى خلية معينة تعتبر أحدَ مكونات كرات الدم البيضاء ، ويسمى الخلية الليمفاوية . ويبدأ عمل هذه الخلية الليمفاوية ، والتى يطلق عليها دائماً الخلية الليمفاوية ب (B-Lymphocyte) ، بعد أن ينتقل إليها الجسم الغريب داخل الخلية القانصة ، أى ان الميكروب يجب أولاً أن يقاتل الخلية القناصة ، ثم ينتقل داخل هذه الخلية

القناصة إلى الخلية الليمفاوية ب التي تتولى بدورها تصنيع البروتين المضاد لهذا الميكروب . وغالباً ما يتراوح الوقت اللازم لهذه العملية من ٧ إلى ١٠ أيام ، وبعدها نستطيع ان نكتشف فى الدم كميات معقولة من البروتين المضاد للميكروب ، وتسمى هذه العملية « التأثير المناعى الأول » (Primary antibody response) .

ويبدأ هذا التأثير المناعى الأول كما ذكرنا بعد ٧ - ١٠ أيام من تاريخ دخول الميكروب الى الجسم ، ويستمر فترةً معينةً من بضعة أسابيع إلى بضعة أشهر وبعدها نجد أن المضادات البروتينية قد اختفت تقريباً من الدم ، لكنها تظل محفوظة ، بل ومحفورة فى ذاكرة المناعة داخل الجسم ، بمعنى أن الإنسان ، إذا تعرض مرة أخرى لهذا الميكروب ، نجد أن المضادات الحيوية فى دمه ستتكون بسرعة رهيبة لا تزيد على بضع ساعات ، وتستمر سنوات طويلة فى دم هذا الإنسان .. ويطلق على هذه العملية أسم « التأثير المناعى الثانوى » (Secondary antibody response) ولذلك نجد أنه من الملاحظ ، عند التطعيم ضد البكتيريا أو الفيروسات ، يعطى الأطباء دائماً جرعة ثانية من التطعيم بعد فترة من التطعيم الأول ، حتى يصلوا إلى مرحلة التأثير المناعى الثانوى ، والذى يكون بالفعل مناعة واقية للجسم تستمر العديد من السنوات .

وهناك صورة أخرى للمناعة داخل جسم الإنسان تسمى المناعة الخلوية (Cell mediated immunity) وهنا نجد ان بعض الخلايا الليمفاوية تستطيع مهاجمة الميكروب بنفسها ، وليس عن طريق تكوين الأجسام المضادة . ولكى تتكون هذه المناعة الخلوية داخل الجسم ، لابد أساسا من وصول الميكروب إلى جسم الإنسان فى

البداية ، حتى تتمكن الخلايا الليمفاوية من طبع صورة هذا الميكروب فى خيال الجهاز المناعى لهذه الخلايا الليمفاوية ، وقد تمت الاستفادة بهذه المناعة الخلوية للكشف عن اصابة الإنسان بمرض السل ، وذلك من خلال اختبار سهل يسمى اختبار التيوبركلين (Tuerbrculin Test) وفى هذا الاختبار تحقن كمية بسيطة جداً من التركيب الكيميائى البروتينى لميكروب مرض السل تحت الجلد ، فإذا كان الإنسان قد تعرض لعدوى السل قبل ذلك ، سنجد إحمرارًا وورمًا فى مكان الحقن يظهران بعد ٤٨ ساعة ، ويستمران بضعة أسابيع وسبب هذا الأحمرار والورم هو تجمع الخلايا الليمفاوية الحساسة لميكروب السل فى مكان الحقن حتى تهاجم هذا الميكروب . وتلك الخلايا الليمفاوية ، التى تهاجم الميكروب بنفسها ، تسمى الخلايا الليمفاوية ت (T-Lymphocyte) حتى نفرق بينها وبين الخلية الليمفاوية الأولى ، والتى يُرمز إليها بالحرف ب ، وقد عرفنا أن وظيفتها تكوين البروتينات المضادة للميكروبات .

وبعد هذا الحوار الطويل نسبياً فى جهاز المناعة فى الإنسان نكون قد تعرفنا على الضحية الرئيسية لفيروس مرض الإيدز .. أنه الخلية الليمفاوية ت .. ولذلك سمى الفيروس هـ ت إل فى ٣ أو فيروس الإيدز (HTLV 3 = Human T Lymphotropic Virus Type 3) .

المناعة الطبيعية ضد الفيروسات :

هناك خطوط دفاع ثلاثة ضد غزو الفيروسات للجسم :

١ - **خط الدفاع الأول** : وقد ذكرنا من قبل ان الخطورة الفعلية

للفيروس تحدث بعد دخوله الخلية ، حيث يتم تكاثره ، ويتم أيضاً هلاك الخلية . ولكى تحمى الخلايا نفسها من هذا الغزو الفيروسى لها تفرز الخلايا مضاداتٍ بروتينية تمنع التصاق الفيروس بجدارها ، وبذلك تمنعه من دخول الخلية (Virus Neutralizing Antibodies) ويصبح الفيروس بلا خطورة مرضية ، أما إذا نجح الفيروس فى دخول الخلية ، والتكاثر داخلها ، فإن هذه المضادات البروتينية تكون بلا قيمة فعالة .. انها فقط تمنع دخول الفيروس إلى الخلية .

ومحاولات التطعيم المختلفة ضد الفيروسات ، مثل شلل الأطفال ، والحصبة ، تكون من خلال تكوين هذه البَروتينات المضادة فى الدم ، والتى تتحدد مع الفيروس ، وتمنعه من الدخول إلى الخلية العائلة . والمشكلة التى يُوَاجهها العلماء لتصنيع التطعيم اللازم للوقاية من مرض « الإيدز » ترجع إلى التغيير السريع لتركيبه الخارجى ، مثل فيروس الانفلونزا ، وبالتالى يضبح التطعيم بلا جدوى .

٢ – **خط الدفاع الثانى** : وهو خطّ المناعة الخلوية التى ذكرناها فى هذا الباب ، وفيه تتجه الخلايا الليمفاوية ت لإلتهام الفيروس ... فإذا عرفنا أن فيروس الإيدز أساساً يقتل جميع الخلايا الليمفاوية ت ، فسوف نعرف أن خط الدفاع الثانى ضد فيروس الإيدز مشلول تمام الشلل ، وبلا أى فاعلية لعدم وجود الخلية الليمفاوية ت فى دم هذا المريض .

٣ – **خط الدفاع الثالث** : وهذا الخط الأخير فى الدفاع ضد الفيروسات قد تكون له فاعلية محدودة ، ولكنه الفاعلية

الوحيدة لمواجهة مرض الإيدز داخل الجسم . إنه عبارة عن مواد كيميائية تسمى « انترفيرون » . وتفرز مادة الانترفيرون من الخلايا المصابة بالفيروس ، وتمنع الفيروس من اثر داخل الخلية ، وهذا هو وجه الاختلاف بين عمله وبين ع مل البروتينات المضادة ، فالبروتينات المضادة تتعامل مع الفيروس خارج الخلية وتمنع دخوله من جدار الخلية . أما الانترفيرون فيقوم بعمله داخل الخلية ليمنع تكاثر الفيروس . وقد لاحظ العلماء أن الانترفيرون ليس له ذاكرة مناعية .. أى ان الاصابة بالفيروس مرة اخرى لا تجد المناعة الكافية .. نفس الحال مع المضادات البروتينية .

والاختلاف الثانى ان المضادات البروتينية تتكون فى خلايا ليمفاوية معينة يُرمز إليها بالحرف ب ، فى حين ان الانترفيرون يتكون فى أى خلية من جسم الإنسان ، وتجرى الآن تجارب لعلاج الفيروسات بهذه المادة « الانترفيرون » ، ولكن المشكلة فى صعوبة تحضيره ، ثم فى سعره المرتفع جداً للعلاج الروتينى .

معلومات عن الفيروسات

الفيروسات أصغر الكائنات الموجودة فى العالم ، والتى تسبب الأمراض للإنسان أو الحيوان أو النبات ، إذ يبلغ قطر الفيروس أقل من ١ على ٢٠ مليوناً من السنتيمتر . والذى يقرأ هذا التعريف قد يتساءل : ولماذا لم أقل أن الفيروسات هي أصغر الكائنات الحية ؟ والأجابة عن ذلك هى ان الفيروس ، خارج العائل الذى تعيش فيه ، لا تعتبر كائناً حياً .. ان تركيب الفيروس كيميائياً عبارة عن غلاف بروتينى يحتوى على حامض نووى .

وطبيعى أن أى تركيب كيميائى لا يمكن أن يعتبر كائناً حياً بأى صورة من الصور ... لأن الكائن الحى له صفات معينة أهمها صفة التكاثر ... والفيروس خارج خلية العائل لا يمكن أن يتكاثر ... إن الفيروس يتكاثر فقط عندما يقتحم خلية العائل ، ويؤدى فى النهاية إلى موت هذه الخلية التى تنفجر لتخرج ملايين الفيروسات حديثة الولادة ، والتى تكونت داخل الخلية الحية .

وكانت المرة الأولى التى تم فيها عزل أول فيروس فى التاريخ سنة ١٩٣٥ ، حينما نجح العالم الأمريكى « ستانلى » فى فصل فيروس من الفيروسات التى تسبب أحد الأمراض فى النباتات . وبالطبع فإن صغر حجم الفيروسات يجعل رؤيتها بالميكروسكوب العادى أمراً مستحيلاً .. ويلزم لرؤية هذه الفيروسات وفحصها استعمال الميكروسكوب الالكترونى الذى يملك امكانات تكبير تصل إلى ٢٥٠,٠٠٠ مرة ، فى حين أن الميكروسكوب العادى لا تزيد قوة تكبيره على ثلاثة آلاف مرة فقط .. ولهذا يعتبر العلماء الآن ان الفيروسات هى أصغر صورة للحياة اكتشفت حتى اليوم على سطح الأرض . وآخر هذه الفيروسات التى اكتشفت حديثاً يسمى ه ت ال فى ٣ (HTLV 3) وهو الفيروس الذى يتسبب فى مرض الإيدز

أنواع الفيروسات المعروفة :

هناك العديد من الفيروسات التى تم فصلها ، والتى تسبب امراضاً معروفة للإنسان ، نذكر منها على سبيل المثال :

١ - فيروس الانفلونزا : وهو اشهر الفيروسات التى تصيب الإنسان منذ قديم الأزل ، ولم يستطع العلماء للأسف التوصل حتى الآن إلى اكتشاف تطعيم يحمى الإنسان من هذا الفيروس المعدى ، والذى يسبب خسائر اقتصادية للعالم تقدر ببلايين الدولارات سنوياً ، وذلك نيتجةً لتعطيل القوى البشرية ، إلى جانب نفقات العلاج والتأمين الصحى الذى يتحمله المجتمع كل عام ، كنفقات تزداد كل سنةنتيجةً

لفيروس الانفلونزا هذا . ويرجع عجز العلماء حتى الآن عن اكتشاف التطعيم الوقائى لهذا الفيروس ، إلى سرعة هذا الفيروس فى تغيير تركيبه وصفاته باستمرار ، إذ أنه يواجه المجتمع كل عام بصورة جديدة تختلف عن صفاته فى العام السابق ، مما يجعل التطعيم السابق بلا فاعلية على الاطلاق .

وبمقارنة فيروس الانفلونزا ، مع فيروس الإيدز ، تبين ان هذا الفيروس الأخير يتكاثر بطريقة اسرع ألف مرة من ميكروب الانفلونزا .. وإذا كان معظمنا يعرف هذه السرعة التى ينتشر بها فيروس الانفونزا ، فمن السهل ان نتخيل مدى خطورة فيروس الإيدز فى الانتشار ، وفى التدمير الشديد !

٢ — فيروس الحصبة .

٣ — فيروس شلل الأطفال .

٤ — فيروس التهاب المخ .

٥ — فيروس الإسهال والتهاب المعدة والامعاء والتهاب الكبد الوبائى .

٦ — فيروس الجدرى .

٧ — فيروس نزلات البرد .

٨ — فيروس التهاب انسجة الأطفال حديثى الولادة .

٩ — فيروس داء الكلب .

١٠ — فيروس الالتهاب الرئوى .

١١ — فيروس التهابات العين (التراكوما) .

١٢- فيروس الجديرى .

١٣ - فيروس الحمى الصفراء .

وقد نجح العلم حتى الآن فى اكتشاف التطعيم الواقى لمعظم هذه الفيروسات .

طريقة انتشار العدوى :

تنتشر العدوى بالفيروس ، فى أى مجتمع من المجتمعات ، من خلال أحد الطرق الآتية :

١ - من إنسان إلى إنسان مثلما يحدث فى انتشار عدوى الجديرى بين الأطفال ، وكذلك عدوى الانفلونزا ونزلات البرد الفيروسية فى المجتمع وأخيراً اكتشف أن مرض الإيدز ينتقل أيضاً بهذه الوسيلة من إنسان إلى إنسان خلال الاتصال الجنسى ، سواء كان اتصالا طبيعياً أو اتصالاً شاذاً ، أو من خلال نقل الدم .

٢ - الطريقة الثانية التى يمكن للفيروس معها أن يُصيب الإنسانَ تكون عن طريق الطعام والشراب ومن اشهر الفيروسات التى تصيب الإنسان بهذه الطريقة فيروس شلل الأطفال ، وفى يوليو ١٩٨٥ اكتشف العلماء أن فيروس الإيدز قد يجد طريقه فى البول والبراز ، ويستطيع أن يلوث مياه الشرب إذا لم يتم الفصل ، وبإحكام ، بين مياه الشرب ومياه المجارى ، وهكذا نجد ان انتشار وباء الإيدز قد يكون من خلال هذه الطريقة الثانية أيضاً .. ومن خلال مياه الشرب غير النظيفة .. قد تنتقل عدوى الإيدز .

٣ – الطريقة الثالثة ويتم فيها نقل الفيروس إلى الإنسان من خلال حيوان وسيط ، والمثل المعروف هو « فيروس الحمى الصفراء » الذى ينتقل إلى الإنسان من خلال بعض أنواع البعوض ، وبهذه الطريقة أيضاً يعتقد العلماء أن فيروس الإيدز قد ينتقل إلى الإنسان من خلال البعوض . ويجرى الآن العديد من الابحاث الطبية التى لم تنشر حتى اليوم ، حيث يتم أخذ « عينات » للفحص من مختلف أنواع البعوض لمعرفة مدى إمكانية حملها لفيروس الإيدز .

وهكذا نرى أن فيروس الإيدز اللعين ينتشر فى المجتمع بكل الوسائل التى يمكن ان تنتشر بها الفيروسات المعروفة حتى الآن ، وهذا بالطبع يزيد من خطورة الموقف ، لأنه يتطلب بالطبع وسائل اكثر وأشد فاعلية فى وقاية الإنسان منه ، إذا قورنت ببقية الفيروسات التى تنتشر فقط بطريقة واحدة من الطرق الثلاث التى أشرت إليها هنا .

ويجد أى فيروس يصيب الإنسان طريقه إلى البشرية من خلال إحدى الطرق الأربع الآتية :

١ – اصابة الجنين فى الرحم : ومن الأمثلة المعروفة لهذه العدوى إصابة الجنين بفيروس الحصبة لو تعرضت أمه للاصابة بهذا الفيروس أثناء الحمل ، وقد اثبت العلماء أخيراً أن الأمهات المصابات « بالإيدز » ينقلن المرض إلى الجنين داخل الرحم ..!!

٢ – عن طريق الجهاز الهضمى مثل شلل الأطفال ، وقد ناقشنا هذا من قبل ، كما ناقشنا احتمال نقل الإيدز له .

٣ – عن طريق الجهاز التنفسى مثل الانفلونزا .

عن طريق الجلد أو العين ، مثل انتقال عدوى الفيروسات عبر الأدوات غير النظيفة أو عن طريق الحشرات ، أو عن طريق الحقن الملوثة كما يحدث فى انتقال فيروس الكبد الوبائى .. وهذه الطريقة أيضاً أثبتت انها طريقة فعالة فى نقل فيروس الإيدز .

الفيروس .. والعائل :

كما قلنا من قبل وتساءلنا : هل الفيروس كائن حى أم كائن ميت ... نستطيع أن نعرف علاقة الفيروس بالعائل ... فالفيروس بلا عائل .. كيان ميت لانه لا يستطيع التكاثر ، والعائل بالنسبة للفيروس هو شهادة ميلاده التى يكمل بها الفيروس أسلوبه فى الحياة ، وهو التكاثر . وتبدأ القصة بوصول الفيروس إلى الخلية المعينة التى حددتها الطبيعة ليتكون العائل والملجأ الوحيد لهذا الفيروس . ولابد ان تأخذنا الدهشة من أسلوب هذا الزائر الغريب الذى يعرف عائله من بين بلايين الخلايا فى جسم الإنسان ! كيف يختار بهذه الدقة ، وبهذه السرعة ، خلية معينة وكيف يتعرف عليها ؟ .

آلاف الأسئلة التى لا تزال حتى الآن بلا اجابة شافية وافية ، لأنها تدل على ان هذا المخلوق الصغير (١ على ٢٠ مليونا من السنتيمتر كما سبق القول) له من الذكاء ما يفوق الكثير من البشر ! وبعد هذه المعرفة الأولى بين الفيروس والخلية العائلة له فى جسم الإنسان ، يقتحم الفيروس جدار الخلية ويتجه إلى عقلها .. نعم ان عقل الخلية يعتبر النواة التى فى منتصف أى خلية .. أنه هو العقل المسئول عن تكوين وتنظيم كل وظائف الخلية ، بما فيها أهم وظيفة .. وظيفة التكاثر !

ويعيش الفيروس الدخيل فى عقل الخلية الضحية فترة من الوقت قد تقصر وقد تطول ، ثم يبدأ الهجوم ، ويبدأ معه الفيروس فى الانقسام الجنونى السريع ، لينتهى أخيراً بانفجار الخلية التى استضافته ، ويخرج من احشاء هذه الخلية الميتة ملايين الفيروسات التى يهاجم كل منها خلية جديدة ، وتبدأ القصة .. وستكون بالطبع قصة المرض الذى سببه هذا الفيروس من دمار لخلايا معينة فى جسم الإنسان ، أو الحيوان ، أو النبات على السواء .

وأول من أشار ودرس أسلوب الفيروس مع عائله العالم الانجليزى « فردريك تاورت » عندما لاحظ ان بعض الفيروسات تهاجم الخلايا البكتيرية ، وتتكاثر داخلها ، وتؤدى فى النهاية إلى قتلها . وكانت هذه الملاحظة بداية سلسة محاولات حاول العلماء من خلالها القضاء على الأمراض البكتيرية المختلفة التى تصيب الإنسان ، عن طريق غريب هو اصابة هذه البكتيريا بالفيروس المعين الذى يقضى عليها ! تفكير غريب ، بل وعجيب جداً : أن نعالج التهابا معيناً بالتهاب آخر لفيروس يقضى على البكتيريا التى تسبب هذا الالتهاب الأول المعين !!

وفى بعض الأحيان نجد ان الفيروس قد يكون أقل ضراوة ، ويتكاثر داخل خلية العائل ، ثم يتركها دون أن يقضى عليها ويفجّرها ، لكن هذا الأسلوب المهذب لا تجده للأسف فى فيروس الإيدز .. ان هذا الفيروس الأخير يختار خلية معينة من خلايا الدم البيضاء تسمى الخلية الليمفاوية المساعدة لجهاز المناعة فى الجسم ، وعندما يدخل ميكروب الإيدز داخل هذه الخلية يعيش بعض الوقت ، وقد يطول هذا الوقت إلى ٦ سنوات ، ثم يبدأ فى التكاثر الذى أشرنا إليه بأنه أسرع الف مرة من فيروس الانفلونزا ، ويقضى

على الخلية الأم المسئولة عن جهاز المناعة ، ويباشر نشاطه ودورة حياته داخل هذه الخلايا الثمينة التى لا يستطيع الجسم ، بأى حال من الأحوال ، استعادتها مرة أخرى .. وأى إنسان بلا مناعة هو إنسان بلا مقدرة على مواجهة الحياة ، إذ سرعان ما يموت بعد أن يسلبه هذا الفيروس القدرة الفعالة على مواجهة مختلف شرور الحياة ، من اوبئة وجراثيم قد لا تكون خطيرة على حياته من قبل .. هذا ان كان فى حياته المناعة الطبيعية الكافية لمواجهة هذه الأوبئة .

الدفاع الطبيعى ضد الفيروس :

هناك طريقان أساسيان داخل جسم الإنسان ، يستطيع بهما الجسم مواجهة الفيروس الدخيل :

١ - **الطريق الأول** ، وهو تكوين الجسم لمضادات حيوية تقضى على الفيروس الدخيل ، ويكون هدفها الرئيسى منع الفيروس من الالتصاق بجدار الخلية العائلة وتمنع اختراقه لها . وهكذا يكون الفيروس كياناً ميتاً لأنه لا يستطيع التكاثر خارج الخلية كما ذكرنا . ومن المعروف أن الفيروس قد يتكاثر فى خلية ولا يسبب مشاكل مثل فيروس شلل الأطفال . وهذا الفيروس يتكاثر فى خلايا الامعاء بلا مشاكل ، لكنه عندما يصل إلى خلايا المخ والأعصاب يدمر هذه الخلايا تماماً ويسبب شلل الأطفال . وقد اخترع العلماء الوسائل المختلفة التى تحث الجسم على صنع تلك المضادات الحيوية ، وهذا ما يعرف بالتطعيم ، فالتطعيم ضد شلل الأطفال يتم مثلا باحدى الطرق التالية :

أ – التعطيم بفيروس ميت .. وهو التطعيم المعروف باسم « سوللك » .

ب – التطعيم بفيروس ضعيف الفاعلية .. وهو التطعيم المعروف باسم « سابين » .

وفى كلتا الحالتين نجد ان الجسم يكوّن مضادات حيوية تظل فى جسم الطفل وتحميه من الاصابة بشلل الأطفال ... لكن الملاحظ ان الاصابة ببعض الفيروسات قد تترك مناعة طول العمر ، مثل العدوى بالحصبة ، وبعض الفيروسات الأخرى نجد أن الاصابة بها لا تعطى مناعة الا لبعض أسابيع قليلة فقط ، مثل فيروس الانفلونزا ، والسبب يعود طبعاً إلى طبيعة هذا الفيروس الذى يغيّر من تركيبه باستمرار وللأسف نجد أن فيروس الإيدز ينتمى إلى هذه المجموعة الثانية ، إنه دائماً فى تغيير يخدع جهاز المناعة فى الإنسان من التعرف عليه .. ومواجهته .

٢ – **الطريق الثانى** .. والطريق الثانى الذى يواجه به الجسم أى فيروس دخيل اكتشف عام ١٩٥٧ ، فقد اثبت العلماء ان جسم الإنسان يكوّن بروتيناً معيناً يسمى انترفيرون ، ووظيفته منع الفيروس من التكاثر داخل الخلية العائلة له

أصل الفيروس على الأرض :

منذ أكثر من خمسين سنة ، والإنسان يحاول البحث عن أصل الفيروس ونشأته الحقيقية ، بل وهويته على وجه الأرض ، ولم يكن أمام الإنسان الا أن يفكر فى واحد من ثلاثة احتمالات :

- **الاحتمال الأول** : ان يكون اصل الفيروس أى خلية بدائية مثل الخلية البكتيرية حيث ان الفيروس كيميائيا ما هو الا حامض نووى ، وهذا الحامض النووى يكوّن جزءًا من الحامض النووى الموجود فى الخلايا البكتيرية .
- **الاحتمال الثانى** : وهو تكوّن هذه الفيروسات الصغيرة جدًا كجزء صغير من طفيل كبير ، حدث انقسام له فى أى وقت من الأوقات .
- **الاحتمال الثالث** : وهو الاحتمال الأكثر منطقية ، ويكون فيه الفيروس قد نشأ أساساً كجزء من العناصر الوراثية (الاحماض النووية) الموجودة فى جميع خلايا الإنسان والنبات والحيوان ... ان الصفات الوراثية الموجودة فى داخل أى خلية نباتية أو حيوانية تكون موروثة على صورة الحامض النووى ، والفيروس ما هو الا عبارة عن حامض نووى .. فمن الأكثر احتمالاً ان يكون مصدر الفيروس هو أى خلية حيوانية أو نباتية خرج جزء صغير من الحامض النووى بها بعد تحللها واصبح فيروساً .. أى ان الفيروس مصدره الرئيسى الصفات الوراثية فى خلية الإنسان ، أو الحيوان ، أو النبات .

وكان هذا الاحتمال هو مصدر التفكير فى أن يكون السرطان عدوى بأحد الفيروسات المجهولة ، نظراً للاختلاف فى الحامض النووى بين الخلية الطبيعية والخلية السرطانية .. ولأن الفيروس ، عندما يقتحم الخلية ، فهو يتعامل مع هذا الحامض النووى الذى يستخدمه لبناء فيروسات جديدة ، أى أن الفيروس يتكاثر داخل الخلية من خلال استعماله للحامض النووى ، الموجود أصلاً داخل هذه الخلية ، ويحمل صفاتها الوراثية .

الإيدز .. وأعراضه المرضية

لكل مرض فترة زمنية تسمى فترة الحضانة (Incubation Period) . وتعنى هذه الفترة الزمنية الوقت اللازم بين اصابة الإنسان بميكروب المرض ، وبين ظهور اعراض المرض عليه . ففى مرض السيلان مثلاً نجد ان فترة الحضانة قد تستمر من ٢ إلى ١٠ أيام .. أى أن المرض تظهر اعراضه على المريض بعد يومين إلى عشرة أيام من اصابته بالميكروب المسبب للسيلان .. وهكذا نجد لكل مرض فترة حضانة معينة . اما فى مرض الإيدز فان فترة الحضانة قد تبلغ ٦ سنوات ! نعم انها ست سنوات يكون فيها الفيروس داخل الجسم ، ولا يشكو المريض من أى أعراض على الاطلاق .. والمشكلة الحقيقية لمرض الإيدز فى رأيى الخاص تكمن فى هذه الفترة الطويلة جداً ، والتى يكون فيها المريض حراً وطليقاً وحاملاً للمرض على امتداد هذه السنوات الطويلة التى ينتقل فيها ، حاملا المرض إلى آلاف الابرياء ، من خلال الاتصال الجنسى ، أو بأى طريق آخر كما ذكرنا من قبل .

وتبدأ اعراض هذا المرض اللعين بعد فترة الحضانة ، على صورة ارتفاع بسيط فى درجة الحرارة يصاحبه احتقان فى الأنف والقصبة الهوائية . وبالطبع يصاب المريض بالسعال ويعتقد ان ذلك « نزلة » برد أو انفلونزا عادية .. ويعقب هذا المرض آلام فى البطن ، واسهال شديد ، ويفقد المريض الكثير من وزنه ، ويبدأ الشحوب على وجهه نتيجة فقر الدم (الانيميا الشديدة) ، مع ملاحظة عدم استجابة المريض لوسائل العلاج الروتينية التى يتم اتخاذها فى مثل هذه الحالات ، ومن ثم يمضى المريض فى دخول مراحل التدهور السريعة ، لعدم وجود المناعة الكافية لمواجهة هذه الميكروبات .. وبالتالى ربما يتعرض لالتهاب رئوى حاد قد يقضى على حياته بالطبع .

وقد وجد العلماء الفيروس المسبب لمرض الإيدز فى الحويصلات المرضية التى ظهرت فى صور الأشعة لهؤلاء المرضى ، والتى تنتشر لتصيب الرئتين معاً .

وفى بعض الحالات الاخرى يؤدى مرض الإيدز إلى أصابة الجلد بنوع خطير من السرطان يسمى كابوزى ساركوما (Sarcoma Kaposi) والذى ينتهى بصاحبه إلى الموت المحقق .

هذا وقد تظهر الأورام السرطانية فى اماكن اخرى من الجسم ، كما ظهرت فى الممثل الراحل روك هدسون ، حيث تم تشخيصه فى البداية على انه سرطان بالكبد ، وكانت الحقيقة المريرة انها اعراض مرض الإيدز اللعين . وفى بعض المرضى المصابين بمرض الإيدز ظهر عليهم المرض فى بدايته بصورة توتر عصبى شديد .. وقلق مستمر ، مع عدم القدرة على النوم أو التركيز ، مما يؤكد أن الفيروس قد يبدأ

أصابته بالمخ والجهاز العضبى للإنسان .

والشىء الهام الذى يتحتم على القارىء معرفته ان الإنسان قد يصاب بفيروس الإيدز (كما يظهر فى تحليل الدم) ولا تظهر عليه أية أعراض .. وهنا قد يكون السبب واحدًا من اثنين :

أولاً : قد يكون المريض فى فترة الحضانة كما قلنا ، والتى تطول إلى ست سنوات .

ثانياً : قد تكون لدى المريض المناعة الكافية التى تستطيع مواجهة الفيروس إلى حد ما .

. . . ولهذا نجد انتشار مرض الإيدز بين هؤلاء المرضى الذين يعانون من امراض أخرى ، مثل السل الرئوى أو سوء التغذية ، والتى تضعف من مناعة الجسم .. أو بين هؤلاء المدمنين للخمور والحشيش والهيروين .. ومن المعروف طبياً أن هذا الأدمان يدمّر جهاز المناعة بالتدريج فى الإنسان ... ومن هنا كان انتشار مرض الإيدز بين الشواذ جنسياً فى الولايات المتحدة وأوروبا ، لأنهم يعيشون تحت ظروف صحية سيئة .

الإيدز .. وعلاقته بالإنسان

ما زالت مجهولةً ، وستظل مجهولةً إلى فترة طويلة ، هذه العلاقة بين « الإيدز » والإنسان ، وإن كان وضع التصورات والعلاقات المعروفة حتى الآن ، امام القارىء وأمام العلم ، امرًا بالغ الأهمية ، لتكوين الفكر الضرورى اللازم لمعرفة الأبعاد الكثيرة لهذا المرض اللعين حتى نتمكن من مواجهته .

تاريخ مرض الإيدز :

هل كان مرض الإيدز موجودًا منذ خمسين سنة فقط ؟ الاجابة العلمية السليمة عن هذا السؤال صعبة جدًا .. لأن طريقة تشخيص المرض لم تكتشف الا فى أبريل ١٩٨٥ . بيْد ان الأمر الواضح والمتجلى فى خطورة هذا المرض تجعلنا نشك الف مرة فى وجود هذا المرض على الأرض ، واصابة الإنسان به منذ خمسين سنة فقط .. فلو عاش هذا المرض مع الإنسان على إمتداد السنوات الطويلة الماضية ، وليس هناك علاج حاسم له ومع هذه السرعة فى انتشار العدوى ،

ومع حكمنا بالاعدام لهذا المريض .. كل ذلك يجعلنا نفكر فى أنه مرض حديث للإنسان .

ان هناك امراضاً كثيرة تصيب الإنسان منذ آلاف السنين .. مثل البلهارسيا التى عاشت مع الإنسان أكثر من عشرة آلاف سنة ، ووجدت مكتشفه ومدونة فى معابد قدماء المصريين .. لكن مرض الإيدز لا يعتقد أن يكون عمره فوق الأرض أكثر من عشر سنوات على الأكثر .. والا كان قد أفنى البشرية جمعاء .. إذ أن علماء الولايات المتحدة يفترضون وفاة ملايين البشر خلال السنوات العشر القادمة إن لم يجدوا علاجاً حاسماً لهذا المرض اللعين فى الأشهر القليلة القادمة .. فإذا افترضنا ان هذا المرض كان موجوداً منذ خمسين سنة بهذه الصورة التى تعانيها البشرية الآن ، لكان بالفعل كفيلاً بالقضاء على التاريخ البشرى بمنتهى السهولة .

إذن فما هو التخيل العلمى لمرض الإيدز .. وعلاقته بالإنسان ؟ ..

التحليل العلمى المقبول ان علاقة فيروس الإيدز بالإنسان علاقة حديثة جداً .. وتعنى ان هذا الفيروس بالتالى لم يكن موجوداً من قبل .. أو بمعنى آخر لم يهاجم الإنسان الا منذ عشر سنوات فقط . أى أن هناك احتمالاً قوياً عن وجود هذا الفيروس منذ مئات السنين ، لكنه لم يهاجم الإنسان الا منذ عشر سنوات .. كيف ؟ ..

لكل فيروس عائل معين قد يكون حيواناً أو نباتا أو إنساناً .. هذا العائل يتعايش سلمياً مع ذلك الفيروس .. والمعروف ان بعض الفيروسات ، إذا غيرت هذا العائل ، تكون شديدة الضراوة مع

العائل الجديد .. ولقد أثبت العلماء حتى الآن أن فيروس الإيدز موجود فعلاً فى عائل معين ، وهو القرد الأخضر الموجود فى وسط أفريقيا .. والغريب أن فيروس الإيدز لا يسبب لهذا « القرد الأخضر » أى مشاكل صحية ، فمن المحتمل ان تكون العدوى الأولى للإنسان لفيروس الإيدز قد انتقلت بطريقة أو باخرى إلى دم الإنسان ، وابسط هذه الطرق بالطبع هى « العض » . فمن المعروف ان القردة تعش الإنسان ، وعن طريق اللعاب المحتوى على فيروس الإيدز فى القرد الأخضر يكون هذا المرض اللعين قد انتقل إلى الإنسان فى وسط افريقيا .. والدلائل التى تؤكد هذا الافتراض ان العدْوى بمرض الإيدز فى وسط أفريقيا متساوية بين الرجال والنساء . ومعنى ذلك ان هناك عاملاً آخر غير الشذوذ الجنسى ، هو المسئول عن انتشار المرض بينهم ، فإذا كان الشذوذ الجنسى هو المسئول عن انتشار المرض لكانت نسبة الاصابة بين الرجال أكثر من النساء كما هى الحال فى الولايات المتحدة وأوروبا . وأصابع الاتهام تشير الآن إلى هذا القرد الأخضر .

والسؤال اليوم هو : لماذ هذا التوقيت بالذات ، والقرد الأخضر يعض الإنسان منذ آلاف السنين فى وسط أفريقيا ؟ الاجابة المنطقية ان هذا الفيروس فى القرد الأخضر قد تغيرت طبيعته على مدى السنين ، وأصبح فتاكا بالنسبة للإنسان ، وهذا امر معروف فى جميع الفيروسات ، وكان سببا فى عدم امكانية السيطرة على فيروس الإنفلونزا .. فميكروب الإنفلونزا يغير من تركيبه باستمرار ، إذ كلما صنع الإنسان مصلاً لمقاومة فيروس الإنفلونزا ، كلما وجد أن هذا الفيروس قد غيّر من تركيبه ، واصبح المصل المصنع بلا جدوى

فى مقاومة الفيروس الجديد للإنفلونزا .

ومعنى ذلك أن الفيروس المسبب الآن لمرض الإيدز كان فيروسًا آخرَ فى جسم القرد الأخضر ، ثم تغيرت صفات هذا الفيروس على مر السنين ، وأصبحت له الآن القدرة المدمرة على شل جهاز المناعة فى الإنسان فمن خلال هذا التصور نستطيع أن نضع تحليلاً سليما ومنطقياً وعقلياً لبداية المعرفة بين فيروس « الإيدز » وبين الإنسان ، بل وتحديد هذا المكان الذى بدأ فيه المرض ، وهو وسط أفريقيا . والسؤال التالى الآن هو : وكيف وصل هذا المرض إلى الولايات المتحدة وأوروبا ؟ .. ومرةً أخرى نجد أن التصور العلمى لهذا الانتشار قد يكون من خلال الاتصالات الجنسية . إذن فالاتصال الجنسى يعتبر العامل الرئيسى لنقل هذا المرض من وسط أفريقيا إلى الولايات المتحدة ودول أوروبا من خلال الطرق الآتية :

أولاً : استخدام بعض الرجال المصابين بالشذوذ الجنسى فى الولايات المتحدة وأوروبا رجالاً مصابين بمرض الإيدز من وسط أفريقيا حيث بدأ المرض . ومن العوامل النفسية التى تساعد على هذا الافتراض ان رجال وسط أفريقيا فقراء جداً ، ويقبلون على أى عمل يطلبه الرجل الأبيض فى سبيل الحصول على المال ، كما أن ضخامة اجسامهم وقوة بنيتهم الطبيعية والعضلية تثيران رغبات الرجل الأبيض الجنسية الشاذة نحو هذه الفئة من البشر .

ثانياً : ممارسة الجنس بين الرجل الأبيض فى هذه القارة السوداء ، والمرأة السمراء فى وسط أفريقيا ، يجعل الخيال الجنسى لهذا

الرجل دافعاً قوياً لهذه الممارسة التى قد تنقل المرض إلى الرجل الأبيض .

ثالثاً : الممارسة الجنسية الشاذة بين المرأة الغربية والرجل الأسود حامل الفيروس اللعين ، قد تكون أيضاً أحد أسباب انتشار المرض من أفريقيا إلى الولايات المتحدة وأوروبا .

وبعد كل هذا يمكننا القول ان المرض قد أصاب الرجل الأبيض ، وأصبحت المشكلة أن يجد هذا الرجل الأبيض علاجاً له . وبالطبع ، سيستفيد الرجل الأسود من هذه المحاولة إذا نجحت تلك المحاولة الصعبة ..!!

وأخيراً ، كان هذا هو تصورى الخاص ، والذى أعتقد شخصياً أنه الطريق بين فيروس الإيدز وبين الإنسان فى القرن العشرين .

الإيدز .. والشذوذ الجنسى

منذ أربع سنوات ، وبالتحديد سنة ١٩٨١ ، اكتشف مرض « الإيدز » لأول مرة . كان هناك اعتقاد قوى بأن هذا المرض مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشذوذ الجنسى فى الرجال ، واعتقد الأطباء ، وبالتالى المجتمع ، ان طريقة العدوى بهذا المرض تتم عن طريق الاتصال الجنسى الشاذ بين الرجال ، وظل الاعتقاد الخاطىء سائداً ، حتى تبين حديثاً أن سبب مرض الإيدز هو فيروس فى الدم يصيب بعض أنواع الكرات الدموية البيضاء المسماه بالخلايا الليمفاوية .. ولهذا تغيّرت النظرة إلى هذا المرض تغيراً كلياً للأسباب الآتية :

أولاً : وجد أن هذا المرض يصيب النساء كما يصيب الرجال ، فالمرأة التى تمارس الجنس مع رجل مصاب بمرض الإيدز قد تنتقل إليها العدوى من خلال الاتصال الجنسى الطبيعى غير الشاذ ، أى أن من السهل أن ينتقل الفيروس من السائل المنوى إلى المهبل ، إلى الدم فى المرأة .. وكانت بداية هذه الملاحظة فى وسط أفريقيا عندما اكتشف العلماء ان نسبة

الاصابة بمرض الإيدز متساوية بين الرجال والنساء فى بلدان هذه المنطقة من العالم .

ثانياً : من الممكن أن يصاب الجنين فى بطن امه بمرض الإيدز ، من خلال انتقال الفيروس من دم الأم إليه فى ألتاء مراحل تكوينه ، كما يحدث فى مرض الزهرى الوراثى . وهكذا نجد اطفالاً أبرياءَ حُكم عليهم بالاعدام ، بعد ولادتهم من أمهات أصابهن مرض الإيدز ، مع أنهن لم يمارسن الشذوذ الجنسى !

ثالثاً : عندما نعتقد خطأ بأن الإيدز مرض يصيب الشواذ جنسيًا ، يكون المفهوم العلمى المفروض هو أن الفيروس بوجد فى المستقيم ، وان العدوى تنفذ من خلال قضيب الرجل (الرجل الإيجابى) الذى يمارس الشذود الجنسى مع هذا (الرجل السلبى) الذى يتكاثر الفيروس عنده فى منطقة الشرج . لكن الحقيقة العلمية هى على العكس من ذلك ، فالذى يحدث بالفعل هو انتقال المرض من الرجل الإيجابى الذى يحمل الفيروس فى حيواناته المنوية (فى السائل المنوى بالتحديد) إلى الرجل السلبى ، أى أن الذى يصاب بمرض الإيدز من خلال الشذوذ الجنسى هو الرجل السلبى (المفعول فيه وليس الفاعل) وقد أثبت العلم ان وصول الحيوانات المنوية إلى دم الرجل السلبى ، من خلال الاتصال الجنسى ، يؤثر تأثيراً سيئاً فى جهاز المناعة لديه .

رابعاً : ينتقل الفيروس المسبب للإيدز الى الرجل السلبي ، من

خلال الشذوذ الجنسى عن طريق « النزيف الشعيرى » الذى يحدث فى الشرج ، كى يجد الفيروس طريقه إلى الدم ، لأن المرض كما قلت يصيب ا لكرات الدموية الليمفاوية وليس الاعضاء التناسلية ، كما يعتقد البعض للأسف الشديد ، وان وصول الحيوانات المنوية إلى الدم من خلال هذه الجروح له تأثير سيىء جداً فى جهاز المناعة عند الرجل السلبى ، كما ذكرنا من قبل .

خامساً : يستطيع الفيروس المسبب للإيدز اصابة الضحية عن طريق غير الاتصال الجنسى الشاذ ، أو الاتصال الجنسى الطبيعى ، فهو ينتقل من خلال نقل الدم ، مما يؤكد أنه ليس مرضاً جنسياً بالدرجة الأولى .

سادساً : ثبت علمياً أن هذا الفيروس يخرج فى سوائل جسم المريض ، فقد تم فصل الفيروس فى اللعاب والدموع والبول ، وتبين ان تلوث مياه الشرب بمياه المجارى يشكّل خطراً جسيماً على المواطنين ، ويعرضهم للأصابة بمرض « الإيدز » دون أى اتصال جنسى ، مما يؤكد أيضاً أن هذا المرض ليس مرضاً جنسياً .

سابعاً : يتم دخول الفيروس إلى جسم الإنسان من خلال أى جرح صغير (قد لا تراه العين) ، فى الجلد ، أو الفم ، أو المعدة ، أو المهبل ، أو فى منطقة الشرج ، وهو يؤكد بالقطع أنه ليس مرضاً جنسياً كما كان يعتقد فى البداية .

فمن خلال هذا الحوار العلمى الواضح ، نستطيع أن نحدد النقاط الآتية :

أولاً : مرض الإيدز اصابة فيروسية لكرات الدم الليمفاوية المسئولة عن المناعة فى الإنسان أولاً وأخيراً .

ثانياً : مرض الإيدز ليس مرضاً جنسياً .. كما يعتقد البعض فى مصر حتى الآن !!!

ثالثاً : طريق العدوى المعروف فى المرضى الذين أصيبوا بهذا المرض حتى الآن ، هو الإنسان .. أى أن المرض ينتقل من إنسان إلى إنسان .. أى أن الإنسان الآن هو الناقل الفعلى للمرض .

رابعاً : بداية العدوى التى اصابت الإنسان أول مرة بالإيدز غير معروفة ، فالبعض يقول انه القرد الأخضر الموجود فى وسط أفريقيا ، والبعض يعتقد أنه الخنزير ، وآخرون يتصورون ان العدوى انتقلت من خلال البعوض (كما يحدث فى الملاريا) ... كل هذه الافتراضات لا قيمة لها الآن ، فهى لن تقدم ولن تؤخر فى انتشار الوباء ، طالما أصبح من الواضح والثابت لنا الآن أن المرض ينتقل من الإنسان إلى الإنسان .

خامساً : الاعتقاد الخاطىء الذى لا يزال للأسف موجوداً فى مصر ، عن ارتباط مرض الإيدز بالشذوذ الجنسى ، قد يعرضنا ، كما هو واضح فى سياق الحديث ، لمأساة حقيقية ، إذا لم تكتشف الحالات المرضية التى تدخل مصر من خلال المطارات والموانى الموجودة والمفتوحة على البلاد الكثيرة التى تعانى من هذا الوباء .

سادساً : ارتباط مرض الإيدز فى أمريكا ، بنسبة كبيرة ، بالشذوذ الجنسى بين الرجال ، له فى الواقع سبب آخر .. هو ان هؤلاء الشواذ يتعاطون العديد من انواع الحقن المخدرة التى قد ينتقل الفيروس من خلالها ، وليس من خلال الاتصال الجنسى الشاذ ، لأن وصول الفيروس إلى الدم مباشرة أسهل ألفَ مرةٍ من الوصول عن طريق الاتصال الجنسى الشاذ .
كذلك فان انتشار العادات السيئة وغير الصحية بين هؤلاء الشواذ ، مثل إدمان الخمر والحشيش وعقار الهلوسة ، وشم أبخرة التيتريت ، يضعف جداً من مقاومة الجسم ، ويحوله إلى جسم هزيل يسهل على فيروس الإيدز التغلغل داخله ، فتكون بهذه الظروف غير الصحية ، التى يعيش فيها هؤلاء الشواذ ، هى السبب الرئيسى للأصابة ، وليس المشكلة مشكلة الشذوذ الجنسى فى حد ذاته

والدليل على ذلك اننا لا نستطيع إنكار وجود الشذوذ الجنسى فى مجتمعنا الشرقى ، بل ان هذا الشذوذ الجنسى موجود عبر التاريخ منذ سمعنا عن قوم لوط .. ومع ذلك لم يظهر بين هؤلاء الشواذ هذا المرض الخطير .

على ان هذا التحليل العلمى ليس بالطبع دعوة للشذوذ الجنسى ، ولكنه دعوة لوضع النقط فوق الحروف ، حتى لا نطمئن إلى أننا فى معزل عن هذا المرض ، طالما كنا لا نعترف بالشذوذ الجنسى فى مجتمعنا ، مثل المجتمع الأمريكى ، والمجتمع الأوروبى . إن امراضاً كثيرة تنتقل بين الشواذ جنسياً ، وهى أمراض معروفة منذ عشرات السنين ، تصيب كلا الطرفين (الرجل الايجابى والرجل السلبى)

وليس هذا الكتاب مجالاً لمناقشتها . وبالطبع يمكننا القول إن الوقاية من هذه الأمراض تكون بمحاربة الشذوذ الجنسى فقط ... لكن هذه المحاربة لن تُنهى خطورة الاصابة بمرض الإيدز ، إذا توقف الشذوذ الجنسى جدلاً ، ابتداءً من الآن ...

هذا وقد أثبت العلماء حديثاً ان الشذوذ الجنسى ينقل العديد من الأمراض التى تنهك جهاز المناعة فى هذا الرجل الشاذ ، فالعدوى الجنسية المتكررة لهؤلاء الشواذ تعتبر عبئاً ثقيلاً يتحمله جهاز المناعة ، إلى حد ما يحدث بعده هذا الهبوط المناعى الذى قد يكون سبباً أيضاً فى الاصابة بمرض الإيدز ... وقد يكون سبباً أيضاً فى خطورة مرض الإيدز بين الشواذ جنسياً من الرجال ، كما سنعرض له بالتفصيل فى هذا الكتاب فى باب « الإيدز .. وخطورته الفعلية » .

الإيدز ... والأطفال

تقول الاحصاءات الأمريكية ان عدد الأطفال المصابين بمرض الإيدز يبلغ حتى الآن حوالى ٢٢٠ الف طفل ... أى أن ربع مليون طفل امريكا وحدها حتى الآن قد تم تشخيصهم على أنهم مرضى بهذا الوباء اللعين !

والسبب الرئيس لاصابة هؤلاء الأطفال بمرض الإيدز يكون بانتقال الفيروس ، من خلال الدورة الدموية للأم الحامل المصابة بمرض الإيدز ، إلى الجنين فى الرحم اثناء تكوينه . وقد تكون الاصابة أيضاً من خلال الرضاعة ، وبذلك يدخل مرض الإيدز إلى تصور جديد وهام ، إذ يصبح اعتبار مرض الإيدز من الأمراض الوراثية التى ينقلها الآباء إلى اطفالهم اثناء تكوينهم ! . ويقول الدكتور جيمس اولسكى الأستاذ المساعد لأمراض الأطفال فى كلية طب الاسنان بجامعة نيويورك : « لا أعرف إلى متى ساستطيع رؤية أطفال تموت من حولى ! » ويستطرد الدكتور اولسكى فيقول : فى كل يوم من أيام الجمعة تمتلىء عيادتى بأصوات أطفال احضرهم اباؤهم والمشرفون

عليهم ، للعلاج مما يعانون ، آملين منى القضاء على هذا المرض . وهو يستعمل احد مشتقات بروتينات الدم ، ويسمى « جاما جلوبيلين » ، حقناً فى الوريد مرة كل شهر .

وعلى الرغم من جهود الدكتور أولسكى المكثفة لانقاذ هؤلاء الأطفال ، فان اكثرهم يموتون قبل بلوغ العام الثالث من العمر ! والشيء المؤسف فى مأساة هؤلاء الأطفال أنهم يتحولون إلى يتامى بسبب هذا المرض ، فلا يجد الطفل الرعاية الكافية ، ويصبح كائناً غير مرغوب فيه .. بل ان الغالبية العظمى من هؤلاء الأطفال البؤساء يودعهم آباؤهم المستشفيات ولا يعودون للسؤال عنهم .. إذ قد يكونون هم أنفسهم مصابين بهذا المرض اللعين ولا يصلحون لرعاية ذلك الطفل ! ويتعجب الدكتور اولسكى فى مقاله بمجلة « لايف » الأمريكية الصادرة فى أغسطس ١٩٨٥ ويتساءل كيف لا تؤلف وبسرعة هيئات اجتماعية مسئولة تدافع عن حق هؤلاء الأطفال الأبرياء ... فى حين أنْ هناك العشرات من الجمعيات التى تدافع عن حق الشواذ فى ممارسة شذوذهم الجنسى حتى الآن ؟!!

ويضيف الدكتور اولسكى ان هناك عدة حالات لا ينساها.. ويذكر منها حالة طفلة اصابها مرض الإيدز ، فتخلى عنها زوجان كان قد تبنياها .. وظلت هذه الطفلة ١٨ شهراً وهى لا تتحرك ، بل ولا تصدر صوتاً ، بعدما أصيبت بانتفاخ حاد فى جسمها .. وعندما رقّت لحالتها وتألمت لها ممرضة بالمستشفى ، ثار شقيق الممرضة لهذا التصرف ، وقاطع أخته !

وتعتبر حرب الإيدز فى الأطفال من الناحية المادية امرًا مكلفاً لأى

دولة ، حتى الدول العظمى ، إذ ان نفقات الرعاية الطبية للمريض ، سواء كان طفلاً أو بالغاً ، تبلغ فى متوسطها ١٤٧٠٠٠ دولار امريكى وتكون فى النهاية بلا قيمة فعلية ، حينما يموت المريض بعد هذه الأموال الطائلة التى تنفق عليه !!

ويواجه المجتمع الأمريكى الآن مشكلة جديدة اخرى تجاه هؤلاء الأطفال المصابين بمرض الإيدز : هل يسمح لهؤلاء الأطفال بالذهاب إلى المدرسة ، مثل بقية الأطفال فى مثل أعمارهم أم يُعزلون بعيداً عن الأصحاء ، مثل مرض البرص ، خوفاً من انتقال العدوى إلى الأطفال السليمين ، بل وإلى المجتمع كله ؟! وما زالت هذه القضية موضع جدل حتى الآن .. لأن هناك حقاً يكفله الدستور لكل إنسان ، وهو حقه فى التعليم ، كما أن هناك أيضاً حقَ المجتمع فى أن يحمى نفسه من انتشار الأمراض والأوبئة بين أفراده .. يضاف إلى ذلك أن العلماء النفسيين يرون ان انتشار مرض الإيدز بهذه الصورة البشعة بين الأطفال قد يؤدى إلى تغيير سيكولوجى هام فى المجتمع الأمريكى ، وكذلك المجتمع الأوروبى ، فقد بدأ العديد من كبار الكتاب يتساءلون عن ذنب اخر لهؤلاء الأطفال ، غير انتمائهم إلى مجتمع مريض يبيح الشذوذ الجنسى بين الرجال . ان نظرة المجتمع البشرى إلى هؤلاء الأطفال جعلت المجتمعات تعيد البحث والتفكير فى الاعتراف باباحة الشذوذ الجنسى ، بل ان كثيراً من النوادى الخاصة بهؤلاء الشواذ بدأت تغلق أبوابها ، بعد حملات الاستنكار التى اجتاحت العالم هذا العام فقط تجاه قضية الشذوذ الجنسى .

وقد أدى انتشار الإيدز بين الأطفال والكبار معاً إلى افلاس العديد من شركات التأمين على الحياة .. إذ ان العلاج فى المجتمعات الغربية

باهظ التكاليف بصورة عامة ، لكنه يتم من خلال شركات التأمين التى تعانى الآن من تدهور غير عادى ، نتيجة تحملها نفقات علاج الأطفال ، ودفع التعويضات اللازمة لأهليهم بسبب عدم انتظامهم فى دراستهم بالمدارس أيضاً . والآن يحاول عدد كبير من شركات التأمين على الحياة هذه إعادة ترتيب حساباتها ، من أجل مواجهة التكاليف الرهيبة الجديدة ، بفرض شروط وقيود أخرى ، قد يقرّها المجتمع وقد لا يقرها ...

والقصة لم تتم فصولاً ، وهى مستمرة على مسرح الحياة ، ولم تنته حتى الآن !

الإيدز ... والسرطان

قد يتساوى هذان المرضان : الإيدز والسرطان ، فى مدى الخطورة التى قد يتعرض لها الإنسان ، عندما يصاب باحدهما . فكلا المرضين يؤديان بصورة أو بأخرى إلى الموت ، سواء كان بطيئاً أو سريعاً ، وان كانت وجهة نظرى الشخصية تفترض أن مرض الإيدز اخطر بكثير من السرطان الذى قد نستطيع مواجهته ، والتقليل من خطورته ، إذا تم اكتشافه (أى السرطان) بسرعة فى جسم الإنسان ، ولذلك نجد أن معظم الأبحاث التى أجريت خلال السنوات العشرين أو الثلاثين الماضية فى مجال مرض السرطان ، كانت متجهة بصورة أوليه إلى سرعة تشخيص المرض ، وإلى معرفة العوامل التى تساعد على زيادة فرص الاصابة بالسرطان ، وبذلك نستطيع ان نقول أن السرطان ، وبالذات بعض أنواعه التى تصيب الدم ، قد امكن فى الدول المتقدمة الى حد كبير السيطرة عليها . ونقصد هنا بتعبير « السيطرة عليها » امكانية اطالة عمر المريض المصاب بالسرطان افتراضياً ، فيقال مثلاً ان سرطان المعدة يقضى على حياة المريض بعد

أربع سنوات .. ويتم هذا الافتراض من خلال علم الاحصاء الذى يحسب اعمال المرضى المصابين بسرطان المعدة مثلاً ، ويقارن بين أعمارهم بعد اكتشاف المرض .

ولهذا نجد لكل نوع من أنواع السرطانات اعماراً افتراضية محسوبة بطريقة علمية معقدة جداً ويؤخذ فى الأعتبار فيها عمر المريض ، وجنسه ، ومدى انتشار الورم داخل جسمه ، ونوع السرطان .. وكذلك موطن هذا الإنسان .. كل هذه العوامل وغيرها تجعل علماء السرطان يحددون عمراً افتراضيا سيموت بعده المريض المصاب بالسرطان (والأعمار طبعاً بيد الله وحده) . ولقد امكن العلماء فعلاً زيادة الفترة الزمنية التى يستطيع المصاب بالسرطان أن يعيشها على الأرض واصبح هذا العمر احيانا يصل إلى عشر سنوات فى بعض أنواع اللوكيميا (سرطان الدم) ... والسر فى هذا التقدم يرجع إلى نجاح بعض الأدوية الحديثة فى السيطرة على حجم الورم ، وكذلك سرعة اكتشافه كما ذكرنا من قبل .

كانت هذه هى الصورة العامة لمرض السرطان ، فاذا قورنت بمرض الإيدز نجد أن الصورة مختلفة إختلافاً بيناً .. ذلك أن المريض الذى تظهر عليه أعراض مرض الإيدز لا يمكن اجراء أى عملية جراحية له .. أو علاجه كيميائيا للسيطرة على خطورة مرض الإيدز فى داخله . والأغرب والأعجب من هذا ان نصف المرضى المصابين بالإيدز يموتون بالسرطان ! وقد وجد العلماء أن هذا السرطان الذى يصيب مرضى الإيدز هو أخطر أنواع السرطانات ضراوة وشراسة ، وغالباً ما يصيب هؤلاء المرضى فى جلدهم ، أو فى الرئة ، أو فى الكبد ، أو فى أى مكان بجسم الإنسان .

علاقة الإيدز .. بالسرطان :

قبل اكتشاف مرض الإيدز سنة ١٩٨١ اكتشف العلماء فى الولايات المتحدة ، وبالتحديد سنة ١٩٧٨ ، انتشار وظهور احد الأنواع النادرة من سرطان الجلد ، ويسمى بالتحديد « كابوزى سركوما » (Kaposi Sarcoma) فى الرجال الذين يمارسون الشذوذ الجنسى .. وكان هذا السرطان بالطبع كفيلاً بالقضاء على حياتهم ، وبسرعة . وبعد اكتشاف مرض الإيدز اكتشف العلماء ان الاصابة بالسرطان توضع فى عداد اخطر المضاعفات التى يتعرض لها مريض الإيدز ، والتى تكون مسئولة بالدرجة الأولى عن وفاة المريض . وظلت هذه العلاقة الغريبة بين المرضى مجهولة لفترة طويلة ، فمن المعروف ان الإيدز مرض معدٍ يسببه فيروساً .. ومن المعروف أيضاً ان السبب الرئيسى لمرض السرطان ما زال مجهولاً حتى يومنا هذا . واخيراً كشف العلماء عن هذا السر الغريب ، وهو علاقة مرض الإيدز المعروفة أسبابه بمرض السرطان المجهولة هويته . ولكى نفهم هذه العلاقة المكتشفة حديثاً ، يجب أن نعرف أولاً ما هو مرض السرطان : ان السرطان يعتبر اختلالاً فى سرعة نمو الخلية .. أى خلية .. لأن كل خلية فى الجسم لها سرعة انقسام معينة ومحسوبة بمنتهى الدقة والتحديد ، فنستطيع مثلاً أن نقول ان عمر خلية الدم الحمراء ١٢٠ يوماً وان عمر خلية الجلد ٣٦٠ يوماً .

وهكذا نجد أن لكل خلية فى جسم الإنسان عمراً محدداً ومحسوباً منذ عشرات السنوات .. وبعد هذا العمر تموت الخلية وتتكون خلية جديدة صغيرة بدلاً من الخلية الأم المتوفاة .. ان السرطان هو هذا الخلل الذى يصيب الخلية ويجعلها تتكاثر فى وقت أقل من معدلها ..

وبهذا يتكون الورم السرطانى نتيجة تكدس هذه الخلايا حديثة الولادة بعضها من بعض .

والسؤال الهام الآن هو : وما دامت جميع خلايا الجسم تتكاثر وتنقسم فى جسم الإنسان ، فلماذا لا يصاب جميع البشر بالسرطان !

والاجابة سهلة لكنها عميقة المغزى ، وتدل على قدرة الخالق عز وجل فى اعجاز خلقه . ان هناك تنظيماً ذاتياً ومركزياً فى كل خلية يحدد لها سرعة هذا الانقسام ، وإلّا اصاب السرطان فعلاً جميع البشر ، وهذا التنظيم يكون أساساً فى تكوين البروتينات المختلفة داخل الخلية ، لأن هناك علاقة وثيقة بين تكوين البروتينات فى الخلية ، وبين انقسام هذه الخلية إذ أن أى خلية جديدة عبارة عن بروتين . وان البروتينات هى العناصر الرئيسية التى تتكون منها أى خلية فى جسم الإنسان .. وان تكوين البروتين داخل الخلية محكوم بتنظيم دقيق .. فبالتالى يكون انقسام الخلية محكوماً بنفس هذا التنظيم . والذى يحدث فى مرض السرطان شيء مختلف وغريب حقاً ، إذ أن الخلية تكوّن بروتيناً آخر غير هذا البروتين الذى تعودت على تكوينه منذ آلاف السنين . ان الخلل السرطانى فى الخلية مركّز فى هذه النقطة العلمية الهامة بالتحديد .. لأن تكوين الخلية السليمة لهذا البروتين الغريب على الجسم ، لا يمكّن للخلية أو الجسم من تنظيمه . ان الجسم قد تعود كما قلت على التحكم فى سرعة تكوين بروتينات معينة ومعروفة داخل الخلية ، وبذلك يستطيع التحكم فى سرعة انقسام هذه الخلية .

أما إذا كوّن الجسم بروتيناً شاذاً فإن أجهزة التحكم الذاتية فى الخلية لن تستطيع إيقاف هذا النمو السرطانى .

كانت هذه فكرة مبسطة جداً عن طريقة تحول الخلية العادية إلى خلية سرطانية .. وكانت مفاجأة غريبة لكل العلماء على وجه الأرض . ان هذه الخلايا السرطانية الشاذة تتكون كل يوم فى جسم كل إنسان على الأرض ، ومع ذلك لا نصاب بالسرطان ، والسبب هو « جهاز المناعة » الموجود فى الإنسان .. كيف ؟

ان جهاز المناعة ، كما ذكرنا فى باب المناعة من هذا الكتاب ، مُوَجّه نحو محاربة أى بروتين غريب يدخل ، أو يتكون ، داخل جسم الإنسان .

فعندما نقول مثلاً إن إنساناً لديه مناعة ضد مرض الجدرى ، نعنى بذلك أن هذا الإنسان كّون اجساماً مضادة ضد البروتين المكّون لفيروس الجدرى . وإذا أصاب الجسم هذا الفيروس ، نجد حركة نشاط لهذه المضادات الحيوية المتكونة داخل الجسم ، والتى تقضى فوراً على هذا الفيروس . وهذا هو ما يحدث لنا تماماً كل يوم بالنسبة لمرض السرطان .. فإن الخلايا السرطانية تعتبر داخل الجسم بروتينات غريبة ، تنبه أجهزة المناعة فى جسم الإنسان ، وبالتالى تكّون اجهزة المناعة بروتينات مضادة وفورية للقضاء السريع على هذه الخلايا السرطانية البروتينية الغريبة داخل الجسم .. يحدث هذا لكل إنسان ، فى كل يوم !!! وهذا التحكم الذاتى فى جسم الإنسان هو الرادع الوحيد لعدم انتشار السرطان ، فى جسم كل انسان ، فوق سطح كوكبنا الأرضى !

وفى مرض الإيدز .. لا توجد هذه المناعة ، ولذلك تنتشر هذه الأورام الخبيثة ، نتيجة شلل جهاز المناعة المسئول عن تكوين البروتينات المضادة للخلايا السرطانية الحديثة .

لقد كان هذا الاكتشاف بداية معرفة جديدة للإنسان ، وإطلالة فكر متطور له ، من أجل تحديد مرض السرطان وعلاجه بصورة أوضح ، إذ ان الاعتقاد الذى اصبح واضحاً الآن ، بعد مرض الإيدز وانتشاره ، ان السرطان مرض يتعلق بخلل معين فى مناعة الجسم .

الإيدز ... بين المشكلة والحل

ان المشكلة الحقيقية لمرض الإيدز تكمن فى هذه الخاصية المجهولة والخطيرة لهذا الفيروس اللعين . ان جهاز المناعة فى جسم أى إنسان محكوم بنوعين من الخلايا :

١ – **النوع الأول** : ويسمى الخلايا المنشطة للمناعة ، وهى خلايا تقوم بتكوين المضادات البروتينية لأى بروتين غريب يدخل جسم الإنسان ، مثل الميكروبات أو الفيروسات (Helpert - T - Lymphocyte). وقد وجد العلماء أن فيروس الإيدز لا يختار من جسم الإنسان سوى هذه الخلية المحببة التى يقتحمها ، ويتكاثر داخلها بصورة مذهلة وسريعة ، وتكون النهاية وفاة هذه الخلية ، وهى المسئولة الأولى عن جهاز المناعة فى الإنسان .

٢ – **النوع الثانى** : ويسمى الخلايا المهبطة لجهاز المناعة فى جسم الإنسان (Suppressor cell) وقد وجد ان فيروس الإيدز يساعد على نمو هذه الخلايا ، أى أنه يقضى على خلايا النوع الأول المفيدة

للمناعة ، وينشط خلايا النوع الثانى ، والتى تهبط المناعة داخل الجسم . سبحان الله .. كيف توصل هذا الفيروس اللعين إلى معرفة شفرة الإنسان بهذه السهولة ، وكأنه فيروس قد وظفت إمكاناته بدقة متناهية للقضاء على جهاز المناعة فى الإنسان وبالتالى للقضاء عليه !

كانت هذه هى الأبعاد الحقيقية لما يحدثه فيروس الإيدز داخل الإنسان .. وبالطبع تكون جسامة المرض مرتبطة بالاحتمالات الآتية :

١ – حالة المناعة الأصلية قبل الاصابة بهذا الفيروس .

٢ – بعض الأمراض المصاحبة التى قد تؤثر فى جهاز المناعة عند الإنسان ، مثل سوء التغذية ، وامراض الدم ، ومرض السل الرئوى ، وتليف الكبد .

٣ – الرعاية الطبية المستمرة للتقليل من فرص الاصابة بأمراض أخرى قد تكون فتاكة بالجسم الذى تنقصه المناعة اللازمة .

والآن ، ننتقل الى الحل ، عبر هذا السؤال : وما هو الحل العقلى الذى يبحثه العلماء اليوم للقضاء على مرض الإيدز ؟؟ ونستطيع أن نلخص الاتجاهات الحالية إلى الأساليب الآتية :

١ – **المحاولة الأولى** : سرعة تشخيص المرض ، وبالذات فى بنوك الدم ، لمعرفة واستبعاد الدم الملوث بفيروس الإيدز .. ولم يتوصل العلم إلى ذلك الا فى أبريل ١٩٨٥ ، إذ تمكنت شركة TBBOA العالمية للأدوية من تصنيع مواد كيميائية تستخدم بنجاح كبير للكشف عن مرض الإيدز فى ساعة واحدة . واعتماداً على هذا تم أعدام نصف كمية الدم الموجودة بالولايات

المتحدة فى مايو ١٩٨٥ ، لأنها كانت للأسف ملوثة بالفيروس اللعين .. فإذا تخيلنا ان نصف الدم الذى تملكه بنوك الدم يحتوى على فيروس الإيدز ، أدركنا مدى حجم المأساة لو لم يكتشف العلم فى أبريل ١٩٨٥ هذه الطريقة الوحيدة لتشخيصه . ومعنى ذلك أيضاً أن أكثر من مليونىْ أمريكى يحملون هذا الفيروس فى دمائهم ، وقد تبرعوا به فعلاً لبنوك الدم .

٢ - **المحاولة الثانية** : وهى محاولة اكتشاف مضاد حيوى لفيروس الإيدز . وتجرى هذه المحاولات فى معهد باستير بفرنسا ، حيث تم التوصل إلى دواء اطلقوا عليه اسم HPA-Z 3 ، وقد أجريت تجاربه على العديد من المواطنين الأمريكان ممن يسافرون هذه الأيام إلى فرنسا وبينهم الممثل الراحل روك هدسون ، لأن هذا الدواء لم يعترف به حتى الآن فى الولايات المتحدة . وعن جدوى هذه الأدوية يعتقد العلماء أن الجدوى الفعلية ستكون فى قاية حاملى الفيروس من الاصابة به . أما جدواه فى علاج المرض فتعتبر غير ذات أهميةٍ كبيرة ، لأن القضاء على الفيروس الذى يكون قد نجح فى القضاء على مناعة الجسم فى الإنسان ، لن يكون له أى جدوى فى المحافظة على حياة المريض المصاب بالإيدز .

هذا ويقوم العلماء الأمريكيون بتجربة مضاد حيوى جديد لمواجهة فيروس الإيْدز سموه « **سيرامين** » ، وكان يستخدم من قبل فى مواجهة الحمى الصفراء المنتشرة فى أفريقيا .. وكانت النتائج أن منع فيروس الإيدز من التكاثر داخل الجسم فى

الإنسان لا يحسّن من الحالة العامة للجسم الذى فقد مناعته إلى الأبد .

وفى السويد وكندا يجرى العلماء ابحاثا على نوعين من الأدوية : النوع الأول يسمى **ريبافيرين** ، والنوع الثانى يسمى **فوسكارنت** .. ولكن هذه الأبحاث ما زالت فى مهدها للأسف ..

٣ - **المحاولة الثالثة** : تقوم أساساً على استيعاب المناعة المفقودة ، أو بمعنى آخر إعادة بناء جهاز المناعة للإنسان بعد اصابته بمرض الإيدز . وكانت هذه المحاولات قد تمت بعد نجاح زرع النخاع الشوكى لهؤلاء المرضى وكذلك حقنهم بمادة تسمى « الليوكوكرنين - ٢ » وهى مادة كيميائية تفرزها الكرات الدموية البيضاء لتزيد من مناعة الجسم .

غير أن من بواعث الأسف أن معظم هذه المحاولات كانت محاولات فاشلة حتى الآن فى إعادة جهاز المناعة إلى هذا الإنسان المريض . ويعتقد العلماء الامريكيون ان الوقت لا يزال طويلاً امام العلم حتى يصل إلى مجموعة من الأدوية ، وليس دواء واحداً لمحاربة الفيروس .. وتنشيط جهاز المناعة فى الوقت نفسه .

٤ - **المحاولة الرابعة** : هى محاولة الوقاية من المرض بقدر المستطاع . والغريب أن أطباء الأسنان أصابهم فزع رهيب بعد اكتشاف فيروس الإيدز فى لعاب المرضى فى يوليو ١٩٨٥ ، واصبحوا الآن يتخذون احتياطات وقاية غير عادية ، وهم

يتعاملون مع اسنان مرضاهم ، خوفاً من أن يكونوا مصابين بالمرض . وهذا الرعب نفسه انتقل إلى أطباء العيون ، بعد اكتشاف الفيروس فى دموع المرضى المصابين بالإيدز .. وطبيعى أن الامتناع عن الشذوذ الجنسى الذى يمثل ٧٥٪ من حالات الاصابة الكلية بالمرض فى الولايات المتحدة ، سوف يقلل من سرعة انتشار هذا الوباء الوبيل .. وبالتالى نجد ان الالتزام الجنسى الشرعى للرجل والمرأة كفيل أيضاً بالوقاية اللازمة للمرض الذى ثبت انتشاره نتيجة الممارسة الجنسية غير الشاذة ، ولكنها أيضاً تعتبر غير الشرعية بين الرجال والنساء .

٥ – **المحاولة الخامسة** : وهى محاولة تصنيع مَصْل للوقاية من فيروس الإيدز ، على نحو ما نجح العلم فى تصنيع العشرات من الأمصال الناجحة للتطعيم ضد فيروسات عديدة مثل فيروس الجدرى . وبالطبع كان هذا الحل هو الحل الأمثل لوقاية البشرية إلى الأبد من هذا الخطر ، مثلما نجح الطب فى القضاء على فيروس شلل الأطفال ، بعد النجاح فى اكتشاف التطعيم اللازم للوقاية من هذا المرض الرهيب . لكن محاولات العلماء حتى الآن فشلت فى تصنيع هذا التطعيم لمرض الإيدز ، ويرجع هذا الفشل إلى ان الفيروس القاتل يغيّر باستمرار من تركيب غلافه الخارجى ، وبذلك أصبح من المستحيل تكوين مضاد محدد له ، كما أنه باستمرار يغيّر من تركيبه الخارجى . إنه فعلاً عدو خطير يحمل من الذكاء والدهاء ما يفوق علمَ العلماء .. هو بالفعل لعنة من السماء !

بيْدَ أنه حتى الآن لم ييأس العلماء ، وكذلك الفكر البشرى ، من

أجل التوصل إلى معرفة المزيد عن هذا الفيروس كيميائياً ، لان المعرفة الكيميائية بخبايا هذا الفيروس من الداخل قد تحيى الأمل فى يوم آتٍ من أيام المستقبل ، ويكتشف الإنسان تطعيماً ضد هذا الفيروس ، إذا حالفه التوفيق ونجح فى معرفة إحدى التركيبات الكيميائية الثابتة فى تركيب الفيروس الخطير .

كانت هذه جولة سريعة لتجميع المعلومات التى يبذلها الإنسان حتى الآن لمواجهة مشكلته الفعلية والملحة ... مشكلة مجابهة الإيدز .

الإيدز .. وخطورته الفعلية

أصبح من الواضح الآن ان هناك ثلاث مجموعات من البشر ، مصابين بمرض الإيدز . وتختلف بينهم صور المرض ، كما تختلف بينهم كذلك درجات الخطورة فى نتائج عواقبه :

● **المجموعة الأولى** من المرضى هى أسوأ المجموعات الثلاث على الأطلاق . ويظهر المرض فيهم باعراضه العنيفة التى غالباً ما تنتهى باصابة المريض بالسرطان الذى يقضى على حياته . والذين ينتمون إلى المجموعة الأولى هذه هم مرضى « الإيدز » من الرجال الشاذين جنسياً ، فقد ثبت أن اخطر حالات الإيدز بشاعةً ، واسرعها فتكاً بحياة المريض ، تحدث عندما ينتقل الفيروس من خلال الشذوذ الجنسى فى الرجال . والأسباب التى تزيد من خطورة مرض الإيدز فى هؤلاء الرجال الشاذين جنسياً من الممكن أن تكون كما يلى :

١ – منطقة المستقيم والشرج تعد من أغنى المناطق فى الجسم كله تغذيةً بالدم . ذلك ان هذه المنطقة غنية جداً بالشعيرات

الدموية التى تساعد الفيروس (فيروس الإيدز) على الوصول إلى الدم مباشرةً ، وبكميات كبيرة .

٢ — الغشاء الذى يبطن المستقيم غشاءٌ رقيق جدًا .. يسهل تمزقه من خلال الاتصال الجنسى الشاذ ، مما يضيف طريقاً سهلاً لدخول الفيروس إلى دم الضحية ، فى حين أن الغشاء المبطّن للمهبل فى المرأة مكون من طبقات عديدة وكثيرة ، مما يجعل الفيروس يتحمّل صعوبةً اكبر فى الوصول إلى الدم . كما نجد أن فرصة اصابة الرجل الشاذ جنسياً اكبر بكثير من فرصة المرأة التى تمارس الجنس مع رجل مصاب بالإيدز .

٣ — معظم الرجال الغارقين فى شذوذ الجنس يدمنون شم غاز معين يسمى غاز النيتريت ، وهو غاز يؤدى إلى انبساط عضلة الشرج القابضة ، مما يجعل الاتصال الشاذ جنسياً أقل ألماً وأكثر سهولةً . وتشير الابحاث التى نشرت فى مجلة نيويورك الاكاديمية للعلوم سنة ١٩٨٤ إلى أن العالِم « جودارت » اكتشف مدى التأثير المدمر فى خلايا المناعة ، بل وجهاز المناعة الكلّى فى الإنسان ، نتيجة لاستنشاق هذا الغاز ، مما يدل أيضاً على مدى خطورة المرض الذى يقضى على مناعةِ إنسان جهاز المناعة الفعلى عنده يعانى أصلاً من الضعف نتيجة غاز النيتريت .

٤ — معظم رجال الشذوذ الجنسى يدمنون الخمور .. وبالتالى نجد أن تناول الخمور يؤدى إلى تليف الكبد ، وجهاز المناعة فى الإنسان يعتمد على تصنيع بروتينات معينة تتكون أصلاً فى

الكبد ، وبالتالى فإن مناعة مدمنى الخمور تكون أضعف بكثير من افراد المجتمع العاديين ، الأمر الذى يضاعف من خطورة اصابتهم بفيروس الإيدز .

● **المجموعة الثانية** أحسن حالا من المجموعة الأولى ، وتكون طريقة العدوى بمرض الإيدز من خلال نقل الدم ، أو عبر الاتصال الجنسى غير الشاذ بين رجل مصاب بالمرض وامرأة سليمة منه فتنتقل إليها عدوى فيروس الإيدز ، وبعد هذا الاتصال الجنسى ، وغالباً ما تكون اعراض المرض فى هذه المجموعة الثانية أقل بشاعة .. كما تزيد فرص الحياة بين هؤلاء المرضى ، فتمتد إلى بعض سنوات أكثر من المجموعة الأولى .

وينتمى إلى هذه المجموعة أشهر عائله أصيبت بالإيدز : فقد أصيبُ رجل فى السابعة والعشرين من عمره يدعى باتريك بيرك فى ولاية بنسيلفانيا بالولايات المتحدة ، بعد أن تم له نقل دم مصاب بفيروس الإيدز .. وبالتالى انتقل مرض الإيدز إلى زوجته الشابة لورين ، أثر اتصال جنسى شرعى بينهما . على ان القصة لم تنته بعد ، فقد كانت لورين حاملا فى هذه الفترة ، وانتقل مرض الإيدز إلى طفلهما الذى يبلغ من العمر عامه الأول !

ويعتقد العلماء أن عدوى الطفل انتقلت من خلال الرحم اثناء تكوينه ، أو من خلال الرضاعة بعد الولادة ، فكلا الطريقتين تنقلان العدوى من الأم المصابة إلى الوليد البرىء وينتمى إلى هذه المجموعة أيضاً الرجال والنساء الذين يمارسون الاتصال الجنسى الطبيعى « بدون شذوذ » ، ولكن بطريقة غير شرعية .. فقد وجد هذا المرض منتشراً

بين الجنود الذين يسافرون باستمرار ، ويمارسون الجنس بكثرة مع العاهرات أو العكس .. وثبت علمياً أن فرصة نقل العدوى من الرجل المصاب إلى المرأة السليمة متاحة أكثر من فرصة اصابة الرجل السليم بعد اتصاله بامرأة مصابة بمرض الإيدز ... أى ان الفيروس ينتقل من الرجل إلى المرأة بأسهل من انتقاله من المرأة إلى الرجل ، ولا يزال هذا السبب غير واضح حتى الآن . كما ينتمى إلى هذه المجموعة أيضاً مدمنو المخدرات عن طريق الحقن ، فغالباً ما تكون هذه الحقن غير معقمة ، وبالتالى تكون ملوثة بميكروب الإيدز .

● **المجموعة الثالثة** وهى مجموعة كبيرة من البشر الحاملين لفيروس الإيدز ، بلا أعراض ظاهرية حتى الان ، لكن عند اجراء التحاليل الطبية لهم ثبتت اصابتهم بالفيروس . قد يكون لدى هذه المجموعة الثالثة المناعة الكافية ، أو المناعة المؤقتة لهذا المرض .. وقد يكون المرض لديهم لا يزال فى فترة الحضانة .. ويعتبر العلماء هذه المجموعة من اخطر المجموعات الثلاث نقلاً للمرض ، لأن هناك أكثر من مليون مواطن امريكي ينتمون إلى هذه المجموعة . والخطورة تكمن فى امكانية هذه المجموعة من حاملى المرض وقدرتها على نشر هذا الوباء ، ونقله إلى ملايين الأبرياء من حولهم .

وقد يأتى يوم قريب نجد فيه أفراد هذه المجموعة وقد تحولوا إلى المجموعة الأولى ، أو المجموعة الثانية ، وظهرت عليهم علامات المرض ، إذا ضعفت مقاومتهم ، أو قلّت مناعتهم لأى سبب من الأسباب ، وهذا ما يجعل الحكومات المسئولة تواجه حرجًا كبيراً فى ذكر الاحصاءات السليمة حول عدد هذه المجموعة الثالثة فى كل

مجتمع من المجتمعات ، إذ قد تتأثر السياحة ، والمعاملات التجارية التى تتطلب السفر إلى هذه البلاد الموبوءة بالمرض .

وهكذا نجد أن مرض الإيدز غيّر بالفعل من الأساليب التى اعتادها المجتمع ، بحيث أصبح أى قرار أو اجراء وقائى مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمدى هذه الحقائق التى يعرفها الإنسان بالتدريج حتى الآن .. عن الإيدز ... لعنة السماء ..

كيف نواجه الإيدز ؟!

من السذاجة بمكانٍ ان ننظر حولنا ، ونعتقد أن الإيدز مرض يواجه بعض الدول ، ولا يواجه بلدنا العزيزة مصر . وقد طالعت للأسف فى اكثر من صحيفة يومية ، وفى أكثر من مجلة أسبوعية ، أن مشكلة الإيدز تواجه بالدرجة الأولى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ووسط أفريقيا ، وتناسى هؤلاء الكتاب الأفاضل ان مصر تقع فى شمال أفريقيا ، كما تناسوا ان الولايات المتحدة وأوروبا انتقل إليهم المرض من وسط افريقيا ، وانه من الأسهل لهذا الفيروس ان ينتقل من وسط أفريقيا إلى شمال أفريقيا ، بعد ما نجح فى الهجرة من وسط أفريقيا إلى شمال امريكا . ولا جدال فى ان التفاؤل هنا ، مهما تكن نواياه الحميدة ، يعتبر جريمة فى حق الإنسان المصرى ، نظراً للعوامل التى سأناقشها الآن فى كلمتى هذه ..

أولاً : لا يمكن محاصرة أى وباء فيروسى فى العالم الآن الا بالتطعيم ، وطالما أنه ليس هناك تطعيم لمرض الإيدز فلا نستطيع ان نقول ان مصر فى مأمن من هذا الوباء .

ثانياً : طالما كانت هناك خطوط جوية يومية ومستمرة ، من وإلى الولايات المتحدة وأوروبا ووسط أفريقيا ، فلا جدال فى أن وصول الفيروس بصورة أو بأخرى إلى مصر والدول العربية ، بل وكل دولة فى العالم على حد السواء ، هو من الأمور المحتملة جداً .

ثالثاً : وجود الفيروس المسبب للإيدز فى جسم الإنسان ، كما ذكر العلماء ، لا يعنى وفاة الإنسان به ، فقد ثبت أن له صوراً عديدة يظهر بها مرض الإيدز ، وقد يكون الإنسان حاملا فقط للمرض دون أى أغراضٍ على الأطلاق لمدة خمس أو ست سنوات .

رابعاً : وجد أن الاصابة بمرض الإيدز تكون أشدَ ضراوةً فى الاماكن غير النظيفة والتى يتكدس فيها السكان ، وتكون موبوءة بالفئران والحشرات . وقد كان مثل هذا المناخ مواتياً لفيروس الإيدز فى وسط افريقيا ، وبالتالى تكون الخطورة فى مصر (لا قدر الله) أكثر بمراحل من الخطورة فى الولايات المتحدة وأوروبا ، حيث أن الوعى الصحى بينهم ، وارتفاع مستوى المعيشة ، اعلى بكثير من مثيله فى مصر .

خامساً : عدم انتشار الإيدز فى مصر حتى الآن يرجع بالدرجة الأولى إلى الإلتزام الجنسى ، وعدم الممارسات الشاذة ، وعدم اباحة الإنحلال الخلقى الذى ما زال محصوراً فى أضيق نطاق داخل المجتمع المصرى المتدين ، والذى تحكمه عاداته

وافكاره الشرقية المتحفظة ، وليس بعد المسافة بين وسط وشمال افريقيا .

سادساً : إذا اعترفنا جدلا بأن هناك حالاتٍ فرديةً ومتفرقةً من حالات الشذوذ الجنسى فى مصر ، فأنه لحسن الحظ لم يحدث هذا الشذوذ بين هؤلاء الرجال ، وبين الرجال الحاملين للعدوى والمنتشرين فى الولايات المتحدة ووسط أفريقيا .

سابعاً : قد تكون المناعة الذاتية للشعب المصرى بالنسبة لمرض الإيدز أقوى من مناعة الشعوب الأخرى ، وقد سبق ان لوحظت هذه المناعة لدى الشعب المصرى فى امراض أخرى ، مثل عدوى الامعاء بالميكروبات والفيروسات ، والتى تسبب اسهالا شديداً للسياح والأجانب فى حين لا تظهر هذه الأعراض على المصريين لاكتسابهم المناعة الكافية ضد هذه الجراثيم .

ثامناً : ليس فى مصر للأسف حتى الآن التحليل الكيميائى الذى يكشف عن وجود فيروس مرض الإيدز فى الدم . وعدم توافر هذه التحليل حتى الآن يجعلنا غير قادرين على معرفة مدى انتشار ذلك الوباء فى مصر ، حيث من الممكن ان يوجد اشخاص حاملون للفيروس ، وبلا أى اعراض جانبية ، ولا يمكن تشخيصهم بدون اجراء هذا التحليل . والجدير بالذكر أنه ، بعد اجراء هذا التحليل على المواطنين فى الولايات المتحدة ، تبين ان هناك أكثر من مليونىْ مواطن

كل واحد منهم ايجابى التحليل ، أى أنه يحمل فيروس مرض الإيدز فى دمه ، ولكن بلا أى شكوى ، وبدون أى أعراض ، فكيف نستطيع إذن تحديد مشكلة الإيدز فى مصر ونحن لا نملك مثل ذلك التحليل حتى الآن !!

تاسعاً : ليس فى مصر ـ للأسف ـ الوعى الطبى الكافى بين الأطباء الشبان ، عن حقيقة امراض المناعة ، وطرق اكتشافها ، والتحاليل الطبية الحديثة التى تؤكد اصابة الجهاز المناعى فى الإنسان .

كانت هذه بعض التصورات العلمية والمنطقية تجاه مرض الإيدز وعلاقته بالمجتمع المصرى .

والآن كيف نواجه الإيدز ؟

- أولا : استيراد التحليل الطبى الذى نستطيع به التعرف بعد ساعة واحدة على حاملى ميكروب مرض الإيدز ، ومعرفة مدى انتشاره بين الشعب المصرى ، وبسرعة .
- ثانياً : اقامة معمل تخصصى فى مطار القاهرة ، وانا على اتم استعداد لأن اكون مشرفا على هذا المعمل ، وبلا مقابل ، للكشف السريع على كل مواطن قادم من هذه الأماكن الموبوءة بمرض الإيدز . كما يجب ان تجرى هذه التحاليل على كل مريض قادم قد يشتبه فى أن يكون مصاباً بهذا الوباء اللعين .
- ثالثاً : اجراء التحاليل الطبية وبصفة دورية كل ستة أشهر أو سنة على الأكثر ، على مختلف الفئات من المواطنين ، لمعرفة طبيعة

حيويتهم ، وكفاءة اجهزتهم المختلفة ، بما فيها جهاز المناعة .

- رابعاً : على اجهزة الإعلام المختلفة ، من تليفزيون وراديو وصحافة ، تثقيف الشعب وتوعيته بكل ما يتعلق بهذا المرض .. مرض العصر المخيف ... مع التحذير المباشر والمستمر ضد الممارسات الجنسية الشاذة ، والحمد لله ان الدين الإسلامى الحنيف قد حذر وحرّم ، بل وفرض اشد انواع العقاب الألهى على من يمارسون الجنس بطريقة شاذة ، وهنا يجب تأكيد ان هذا التحريم يتحتم أيضاً ان يكون مصاحباً بالتعليم والتوعية والتنبيه إلى مضار هذه العلاقات الشاذة التى حرمها الحق سبحانه وتعالى .
- خامساً : على الدولة والمواطنين الالتزام بخطة نظافة صحية عامة طوال العام ، وليس فقط أسبوعاً للنظافة كل عام ، كما نسمع من أجهزة الإعلام . يجب ان نركز على نقطة هامة هى أن النظافة من الايمان ، وبهذا الأسلوب سوف نتجنب العديد من الأمراض ، وليس مرض الإيدز فقط .
- سادسا : يجب على أطباء الأسنان وأطباء الرمد اتخاذ الاجراءات الوقائية اثناء عملهم ، لأن فيروس الإيدز من السهل ان يكون موجودًا فى اللعاب وفى الدموع .
- سابعاً : على اطباء امراض النساء التأكد من سلامة الأم أثناء الحمل ، إذ أن مرض الإيدز قد يصيب الجنين أثناء الحمل ، إذا كانت الأم مصابة بهذا الداء ، أو مجرد حاملةٍ للفيروس .

خـــاتمـــــة

كان لابد من كتابة هذه الخاتمة والكتاب ماثل للطبع ، فقد تلقيت من باريس تقريراً طبياً هاماً يتضمن أحدث المعلومات عن مرض « الإيدز » ، وآخر تطورات الاصابة بهذا الوباء اللعين فى عدد من عواصم العالم .. يقول التقرير :

يبدو أن مرض « الإيدز » ، وهو مرض نقص المناعة المكتسبة ، بات الشغل الشاغل للدوائر الطبية على نطاق العالم كله ، إلى حدّ لم يعد أحد يذكر معه الامراض الأخرى الخطرة التى تفتك بالإنسانية كل يوم ، وعلى رأسها امراض القلب والشرايين « القاتل الأول » والأروام السرطانية على أنواعها ..

وفى طوكيو بدأ النذير بأن وباء الإيدز وصل إلى اليابان .. وان عدد الحالات المسجلة آخذ فى التصاعد .. فقد أوضح « تاكاومتسو موتو » .. المحاضر فى كلية طب جامعة جونتيندو بطوكيو أن حالات الاصابة بالمرض القاتل اتضحت من خلال

عملية مسح للذكور الشواذ من اليابانيين وغير اليابانيين من المقيمين فى البلاد .. والمعروف أيضاً أن عدداً من حالات الإيدز ظهر أخيراً فى دول جنوب شرق آسيا . كالفلبين وتايلاند والهند . وعلى الجانب الآخر من الكرة الأرضية وصل الرعب من هذا المرض إلى درجة ان النائب العام فى مدينة كاليرى بجزيرة سردينيا استدعى ثلاثة أطباء من قسم التوليد فى مستشفى « بروتزو » المدنى ، لاستجوابهم بعد رفضهم ترميم تمزق عند سيدة شابة تحمل فيروس الإيدز ، على أثر ولادة عسيرة ، خوفاً من الاصابة به .. وفى هذا الوقت استمرت فى إيطاليا نفسها أعمال الندوة الطبية حول الإيدز ... حيث أعلن البروفيسور « روبرت جاللو » مكتشف فيروس المرض الخطير ، ان الأطباء فى الولايات المتحدة اكتشفوا وجود الفيروس فى دموع العين ، وذلك يعنى أنها تسبب العدوى بالمرض ، وأوصى أطباء العيون بعدم استخدام عدسات العين المستعملة ، أو بتنظيفها مخبريا وبيعها لزبائن جدد ، لاحتمال انتقال مرض الإيدز عبرها .

أما فى بريطانيا فقد رفضت العاملات ، اللواتى يقمن بعملية إزالة الشعر الزائد لدى النساء بواسطة الابرة الكهربائية استخدام الابرة الواحدة فى معالجة أكثر من سيدة واحدة .. والسبب طبعاً هو الخوف من انتقال المرض اللعين بين السيدات .

لقد أصبح الخوف من الإيدز حديثاً عالمياً ، لأنه لم يتوقف عند حدود معينة أو طبقية خاصة ، بل غزا جميع الأوساط الشعبية والراقية .. بدون استثناء .. الدبلوماسية منها والعادية .. الكل تأسف على وفاة الممثل العالمى روك هدسون ، وقد كان نجم

الشاشة المفضل لدى الملايين وفى القارات الخمس .

وكانت قد ترددت شائعات بأن شخصية عربية مرموقة توفيت فى بلد أوروبى نتيجة اصابتها بمرض الإيدز .. وهذا ليس بالأمر المستغرب ، إذا علمنا أن قطاعاً واسعاً من موظفي الأمم المتحدة مصاب بالمرض ، وان يكن ، ربما ، فى مراحله الأولى فقط ..

وهذا الانتشار العالمى للإيدز دفع بمنظمة الصحة العالمية إلى عقد مؤتمر عاجل فى جنيف ، دام يومين وضم اثنى عشر خبيراً عالمياً بارزاً فى هذا المجال . وقد جرى فى المؤتمر المذكور استعراض عشرين ألف حالة مرض جرى تشخيصها حتى الآن فى خمسين بلداً دون ان يشمل ذلك طبعاً الاتحاد السوفييتى الذى يحيط هذا الأمر بستار كثيف من السرية شأنه فى ذلك شأن العديد من الدول الآسيوية ، ولكن البروفيسور « فردريك ديانهارت » رئيس المؤتمر انتقد مثل هذه السرية على أساس انها تضر جداً باجراءات المكافحة .

وأكد البروفيسور « ديانهارت » انه لا يمكن بأى شكل من الأشكال مقارنة المرض المذكور بالأوبئة الشهيرة الوافدة التى كانت تجتاح البلاد فى القرون الوسطى ، كما أكد أنه لا يوجد أى دليل على أنه ينتشر عن طريق الاتصالات الجنسية العابرة .. وان كان هو قطعاً من الأمراض الجنسية أصلاً !! ولكن هذا لا يعنى أبداً تشجيع مثل هذه العلاقات المحرمة .

وشدد الدكتور « والتر دودل » من مركز الأمراض المعدية فى الولايات المتحدة على أن نسبة بين ٥ و ٢٠ فى المئة فقط ، من

اصل نصف مليون شخص فى الولايات المتحدة ، هم من الحاملين لفيروس الإيدز قد يصابون فقط بالمرض القاتل .. أى ان ٥ إلى ٢٠ فى المائة فقط من حاملى المرض هم الذين تظهر عليهم اعراض المرض الفعلية .. وهذا ما أكده بالفعل ناطق بلسان معهد « باستير » الشهير فى باريس .

وكانت بعض البلدان الأوربية ، وعلى رأسها فرنسا ، قد قررت تطبيق اجراءات فحص الدم المخصص للعلاج .. اجباريا فى فرنسا ابتداء من أول أغسطس الماضى . كذلك شرعت بعض الدول الخليجية ، وعلى رأسها سلطنة عمان واتحاد الامارات ، فى تطبيق هذه الاجراءات عن طريق اخضاع كل الدم المستورد إلى الفحوصات المخبرية للتأكد من خلوها من فيروس الإيدز .

وكانت مصادر صحية مطلعة بالامارات قد أعلنت عن وفاة سيدتين احداهما مواطنة .. والأخرى مصرية متأثرتين بالإيدز ، نتيجة حقنهما بدم ملوث بالمرض المستورد من الولايات المتحدة خلال العامين الماضيين .

وفى هذا الوقت بلغت المخاوف من انتشار وباء الإيدز ذروتها فى بريطانيا ، عندما اعلن كثير من الآباء والأمهات انهم لن يرسلوا أولادهم إلى المدارس إذا ما تبين أن هناك اصابات بين التلاميذ بسبب عمليات نقل الدم . ولم تنفع تاكيدات الأطباء بأن هذا المرض لا ينتقل إلا بالاتصالات أو العلاقات المباشرة ، أو بواسطة عمليات نقل الدم ، وذلك للحد من هذه المخاوف العائلية ، مما دفع بوزارة الصحة البريطانية إلى المسارعة فى رصد مبلغ أضافى قدره ٩٠٠ ألف جنيه استرلينى لمحاربة الوباء .

ولتوضيح أسباب الرعب الذى أصاب بريطانيا من الإيدز نكتفى بالقول إن مستشفى « ميدل سيكس » فى منطقة نورث وست تايمز بحاجة إلى ٨٢٦ ألف جنيه استرلينى كى يتمكن من الاستمرار فى فحص مئة شخص من الشاذين الذين يقصدون إلى المستشفى يومياً لاجراء الاختبارات والفحوصات . والمعروف ان الشذوذ الجنسى والاتصالات الجنسية المحرمة هى وراء انتشار الإيدز بالدرجة الأولى .

وذكر البروفيسور « جاى ليفى » من جامعة كاليفورنيا ان الإيدز قد يصبح « واحداً من أعتى الأوبئة التى شهدها التاريخ حتى الآن » . هذا وناشد الدكتور ليفى الإدارة الأمريكية ضرورة معالجة مشكلة الإيدز كحالة من حالات الطوارىء التى تستحوذ على الاولوية .. شأنها فى ذلك شأن الكوارث الطبيعية .

وللدلالة على حجم الخطر ذكر ليفى ان هناك ٦٨٣٠ شخصاً قضوا نحبهم حتى الآن فى الولايات المتحدة من أصل ١٣٤٠٢ مريض .. كما ان هناك نحو مليون امريكى تعرضوا للفيروس المذكور ، وان كان المرض لم يظهر عليهم بعد . وهناك احتمال بنسبة ١٠٪ كى تظهر على هؤلاء اعراض الإيدز .

وأمام هذا الخطر المحدق بالعالم تبادر الإدارة الأمريكية بتخصيص ٥٠٠ مليون دولار فقط لاغراض الابحاث التى يقوم باجرائها ليفى وزملاؤه من العلماء الآخرين .. ويقول ليفى ان هذه المبالغ .. غير كافية !!!

وبالرغم من قيام البعض حتى الآن بتسمية مرض الإيدز ..

بـ « وباء الشاذين » فقد تبين أنه ليس وقفاً على الشاذين فقط ، كما انه بكل تأكيد سيصبح من الأمراض الشائعة لدى ممارسى العلاقات المحرمة مع النساء . كذلك سجلت حالات فى أفريقيا ، وفى تنزانيا بوجه خاص ، حيث انتشر المرض بواسطة الهواء أو اللمس بين افراد العائلة الواحدة وبين الذين يعيشون تحت سقف واحد .

....

ونظراً لهذه الخطورة التى تجتاح العالم الآن قررنا إقامة وحدة لمرض الإيدز فى قسم الكيمياء الحيوية بكلية طب قصر العينى تكون فيها جميع اجراءات تشخيص هذا المرض متوفرة لأول مرة فى مصر .. وكذلك اجراء الأبحاث الطبية المتعلقة به .

« وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

« صدق الله العظيم »

(Malabsoption and mucosal abnormalities of the small intestine in the acquired immunodeficiency syndrome.

Ann-Intern-Med 1985 May, Vol: 102 (5), P: 619-22; ISSN: 0003-4819.

20 - Benkov-K-J, Stawski-C, Sirlin-S-M, Klapholz-M-B, Siegal-F Leleikao-N-S. (Atypical presentation of childhood acquired immune deficiency syndrome mimcking Crohn's disease: nutritional considerations and management).

Am-J- Gastroenterol 1985 Apr, VOL: 80 (4), P: 260-5, ISSN: 0002-9270.

21 - Hartman-B, Koss-M, Hui-A, Baumann-W, Athos-L, Boylen-T. (Pneumocysis carinii pneumonia in the acquired immunodeficiency sydrome (AIDS). Diagnosis with bronchial brushings, biopsy, and bronchalveolar lavage.).

Chest 1985 May, VOL: 87 (5), P: 603-7, ISSN: 00012-3692.

22 - Polis-M-A, Tuazon-C-U. (Clues to the early diagnosis of Mycobacterium avium - intracellular infection in patients with acquired immunodefiency syndrome. Arch-Pathol-Lab-Med 1985 May, VOL: 109 (5), P: 465-6, ISSN: 0363-0153.

Mesrob, Ref1.

12 - Kermani-E-J, Borod-J-C, Brown-P-H, Tunnel-G. (New psychopathologic findings in AIDS: case report). J-Clinic-Psychiatry 1985 Jun; Vo?: 46(6), P:240-1, ISSN 0160-6689

13 - Schechter-M-T, Boyko-W-J, Joffries-E, Willoushby-B, Nitz-R constance-P. (The Vancouver Lymphadenopathy - AIDS study: I. Peristent seneralized lymphadenopathy) Can-Med-Assoc-J 1985 Jun 1, VOL: 132 (11), 1273-9, ISSN: 0008-4409.

14 - Goedert-J-J. (Recreational druss: relationship to AIDS). Ann-NY-Acad-Sci 1984, Vol: 437, P: 192-9, ISSN: 007-892326 Refs.

15 - Broaddus-C, Dake-M-D, Stulbars-M-S, Blumenfeld-W, Hadley-W-K, Golden-J-A, Hopewell-P-c. (Bronchoalveolar lavage and transbronchial bopsy for the diagnosis of pulmonary infections in the acquired immunodeficiency syndrome.)

Ann-Intern-Med 1985 Jun, VOL: 102 (6), P: 747-52, ISSN: 0003-4819.

16 - Newell-G-R, Mansell-P-w, Spitz-M-R, Reuben-J-M, Hersh-E-M. (Volatile nitrites, Use and adverse effects related to the current epidemic of the acquired immune deficiency syndrome).

Am-J-Med 1985 May, VOL: 78(5), P: 811-6, ISSN: 0002-9343 49 Refs.

17 - Feorino-P-M, Jaffe-H-W, Palmer-E, Peterman-T-A, Francis-D-P, Kalyanaraman-V-S, Weinstein-R-A, Stoneburner-R-L, Alexander-W-J, Raevsky-C, et-al. (Transfusion-Associated acquired immunodeficiency syndrome, Evidence for persistent infection in blood donors). N-Engl-J-Med 1985 May 16, VOL: 312 (20), P: 1293-6, ISSN: 0028-4793.

18 - Profeta-S, Forrester-C, Eng-R-H, Liu-R, Johnson-E, Palinkas-R, Smith-S-M. (Salmonella infections in patients with acquired immunodefiency syndrome). Arch-Intern-Med 1985 Apr, VOL: 145(4), P: 670-2, ISSN: 0003-9926.

19 - Gillin-J-S, Shike-M, Alcock-N Urmacher- C, Krown - S, Kurtz-R-C, Lightdale-C-J, Winawer-S-J.

Fraumeni-J-F-JR. (Cancer trends in a population at risk of. acquired immunodeficiency syndrome.). J.NCI 1985 Apr, Vol: 74 (4), P: 793-7, ISSN : 0027-8874.

6 - Bartholomew-C, Charles - W, Saxinser-C, Rlattner-Guroff-M, Rajù-C, Ratan-P, Ince-W, Quamine-D, Basdeo-Maharaj-k, et-al. (Racial and other characteristics of human T cell lukemia / lymphoma (HTLV-I) and AIDS (HTLV-III) in Trinidad). Br-Med-J-(Clin-Res) 1985 apr 27, vol: 290 (6477), P: 1242-6, ISSN: 0267-0623.

7 - Grrpman-J-E, Mayer-K-H, Sarnsedharan-M-G, Ayotte-D, Devico-A-L, Finbers-R, Sliski-A-H, Allan-J-D, Gallo-R-C. (Seroepidemiology of human T-lymphotropic virus type III amons homosexual men with the acquired immunodeficiency syndrome or generalized lymphadenopathy and amons asymptomatic controls in Boston).

Ann-Intern-Med 1985 Mar, Vol:102 (3), P: 334-7, ISSN: 0003-4819.

8 - Hardy-A-M, Allen-J-R, Morsan-W-M, Curran-J-W. (The incidence rate of acquired immunodeficiency syndrome in selected population. JAMA 1985 Jan II, Vol: 253 (2), P: 215-20, ISSN: 0098-7484.

9 -Epidemiologic designs for the study of acquired immunodeficiecy disease: options and obstacles.

Rev-Infectg-Dis 1984 Sep-Oct, VOL: 6(5), P: 720-5, ISSN: 0162-0886.

10 - The sydney AIDS Project. Sydney study group. Med-J-Aust 1984 Oct 27, VOL: 141 (9), 569-73, ISSN:0025-729X.

11 - Burkes-R-L, Gal-A-A, Stewart-M-L, Gill-P-S, Abo-W, Levine-A-M. (Simultaneous occurrence of pneumocystis carinii pneumonis, cytomegalovirus infection, Kaposi's sarcoma, and B-immunoblastic sarcoma in a homosexual man).

JAMA 1985 Jun 21, VOL: 253 (23), P: 3425-8, ISSN: 0098-7484.

References

1 - Carne-CA-, Weller-I-V, Sutherland-S, Cheinssons-Popov-R, Ferns-R-B, Williams-P, Mindel-A, Tedder-;r, Adler-M-W. (Rising prevalence of human T-lymphotropic virus type II (HTLV-III) infection in homosexual men in London).

Lancet 1985 Jun I, Vol: I (8440), P: 1261-2, ISSN: 0140-6736.

2 - Clumeck-N, Sonnet- J, Taelman-H, Cran-S, Henrivaux-P. (Acquired immune deficiency syndrome in Belsium and its relation to Central Africa. Ann-NY-Acad-Sci 1984, Vol:.437,P: 264-9, ISSN: 0077-8923.)

3 - Umiel-T, Friedman-E, Luria-D, Cohen-I-J, Kaplinsky-H, Netzer-L, Pecht-M, Trainin-N, Zaizov-R. (Impaired immune resulation in children and adolescents with hemophilia and thalassemia in Isreal.) Am-J-Pediatr-Hematol-Oncol 1984 Winter, Vol: 6 (4), P: 371-8; ISSN: 0192-8562.

4 - Gerstoft - J, Nielsen J-D, Dickmeiss-E, Ronne-T, Platz-P, Mathiesen-L, (The acquired immunodeficiency syndrome (AIDS) in Denmark. A report from the Copenhasen study group of AIDS on the first 20 Danish patients.) Acta-Med-Scand 1985, Vol: 217 (2), P:213-24, ISSN : 0001-6101.

5 - Rissar-R-J, Horm-J, Lubin-J-H, Goedert-J-J, Greene-M-H,

المحتـــويات

صدر للمؤلف عن :

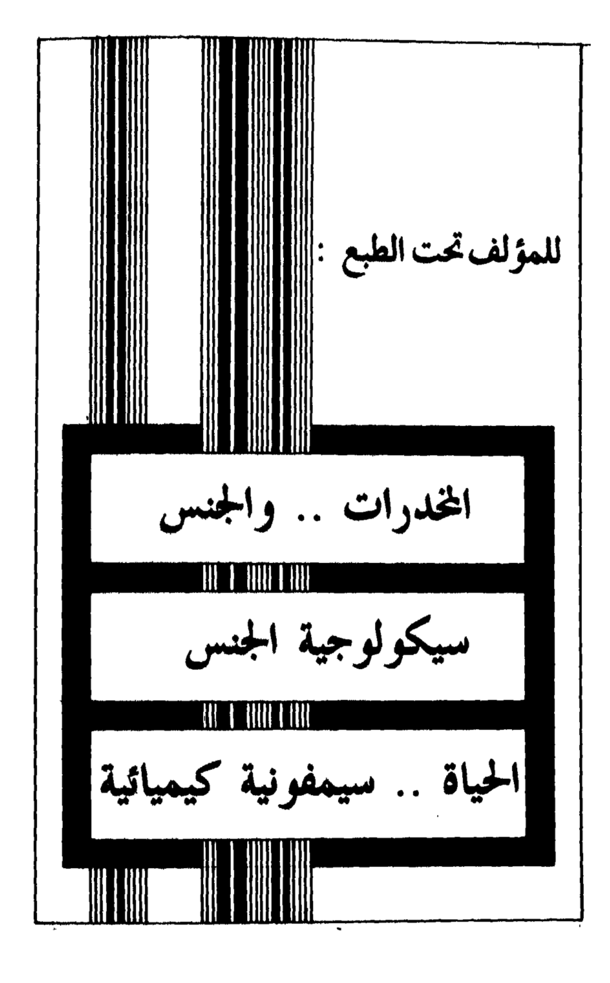
دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر

الطب .. والجنس

أول مرجع علمى طبى يتناول الجنس بطريقة حديثة .

يتعرض الكتاب للمصطلحات العلمية باللغة الانجليزية ليكون عوناً للأطباء والمتخصصين .

كما يتناول أسباب وعلاج المشكلات الجنسية بالاحصائيات والبيانات التى نشرت فى المراجع والمؤتمرات العلمية الحديثة .


للمؤلف تحت الطبع :
المخدرات .. والجنس
سيكولوجية الجنس
الحياة .. سيمفونية كيميائية

رقم الإيداع : ٥٥٠١ / ٨٥

المؤلـف

- الأستاذ الدكتور مدحت عزيز شوقى من مواليد الشرقية فى ١٨ / ١٢ / ١٩٤٣ .
- حصل على بكالوريوس الطب والجراحة فى يونيو ١٩٦٥ بتقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف .
- عين معيداً للتحاليل الطبية بكلية طب جامعة القاهرة وحصل على الماجستير سنة ١٩٦٩ .
- نال شهادة الدكتوراه عام ١٩٧٥ وعين مدرساً ، فأستاذاً بنفس الكلية .
- يهوى كتابة الشعر وله برامج عديدة فى الإذاعة والتليفزيون .
- اشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه فى مجال الضعف الجنسى فى الرجال نشر معظمها فى المجلات الطبية العالمية .
- صدر له ضمن سلسلة « كتاب الحرية » كتاب « الطب .. والجنس » ونفدت طبعته الأولى بعد ساعات قليلة من صدورها لأن الكتاب يعد أول مرجع علمى عن الجنس . وقد تمت ترجمته إلى الإنجليزية لتدريسه فى كليات الطب بمصر .
- يعشق الكتابة العلمية وتبسيط المعلومات وقد اسندت إليه وزارة الثقافة مهمة إعداد « الموسوعة العلمية للأطفال » .
- اختارته الجمعية المصرية للكيمياء الحيوية ليكون مقرراً ثقافياً لها فى مصر ودول العالم .



الثمن ١٥٠ قرشا